روايات مصرية للجيب

٨٥

ملف المستقبل

سري جدا !!

الأمل الفيروزى

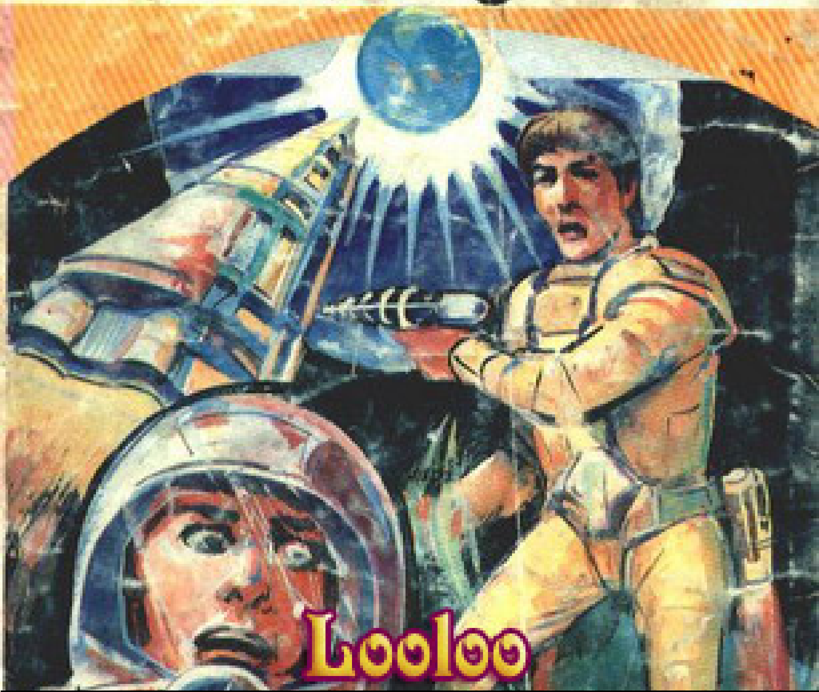

www.helmelarab.net

١ ـ دموعها ..

أطلَّ القمر من خلف سحابة داكنة ، فبدد ظلام تلك الليلة ، وانعكس ضوءُه على قبة مرصد (حلوان) ، فبدت كرة فضية جميلة ، تطلّع إليها بعض سكّان مدينة (حلوان الجديدة) في انبهار واستمتاع ، دون أن يدرك أي منهم ما يدور تحت هذه القبة ، وما يحدث داخل المرصد ، الذي نجا من غزاة (جلوريال) ، والذي يشهد في تلك الليلة ، من ليالي القرن الحادي والعشرين ، أعنف أحداث عرفها تاريخه الطويل ، منذ استقرّ في موقعه هذا ، في أوائل القرن العشرين ..

هناك ، داخل المرصد ، وبالقرب من منظاره العملاق ، كان الأمريكي (كيرك) ، عميل المخابرات العلمية الأمريكية ، يهدد (نور) وفريقه بمسدسه الليزري ، ويستعد لإلقاء قنبلة من الغاز السام السريع المفعول عليهم ..

والعجيب أنه قبل هذا الموقف بست عشرة ساعة فحسب ، لم يكن هناك من يتصوّر حدوث كل هذه التطوّرات ، التي أدت إلى ذلك ..

ففي الصباح السابق فحسب ، كانت (مشيرة) تحاول إقناع (نور) ، بقبول الظهور في برنامج خاص ، يتمّ عرضه في العالم أجمع ، باستخدام شبكة البث العالمية ، التي تركها الغزاة خلفهم ، بعد هزيمتهم ورحيلهم ..

وفوجئ (نور) بأن (مشيرة) قد أعلنت للعالم أجمع أمر مكعبات الكمبيوتر، التى يحتفظ هو بها، والتى تحوى كل تاريخ وفنون وعلوم الأرض، ما قبل الاحتلال ..

ولم يكد العالم يدرك هذا، حتى بدأ الصراع ..

صراع البحث عن القوة والسيطرة، فى العالم الجديد ..

ومن (أمريكا)، خرج (كيرك) و (ساندرا)، فى مهمة محدودة، تقتضى الحصول على تلك المكعبات، أو منع أية دولة أخرى من الحصول عليها ..

واختطف (كيرك) و (ساندرا) (محمود) و (مشيرة)، واستعدا لتفجير قنبلة ذرية محدودة، لنسف (القاهرة الجديدة)، للضغط على (نور) وإجباره على تسليم مكعبات الكمبيوتر لهما ..

ولكن الأحداث تطورت فى سرعة مدهشة، ونجح (محمود) فى صنع غلاف أسطوانى من الطاقة، حول القنبلة الذرية، وحول (كيرك) و(ساندرا)، بعد أن نجحا فى سرقة مكعبات الكمبيوتر ..

وانفجرت القنبلة ..

انفجرت داخل غلاف الطاقة الأسطوانى، الذى نجح فى حماية (القاهرة الجديدة)، من الأثر المدمّر للقنبلة، وإن لم ينجح إنقاذ حقيبة مكعبات الكمبيوتر، التى يحميها غلاف كروى صغير من الطاقة، فانطلقت فى الفضاء كقذيفة مدفع هائل ..

ولقيت (ساندرا) مصرعها ..

ولكن بقى (كيرك) ..

العميل الأكثر خطورة ..

وبمعاونة (هاشم)، فلكى مرصد (حلوان) القديم، تمكّن (نور) ورفاقه من تحديد موقع الكرة الفيروزية المتألقة، التى تحوى داخلها مكعبات الكمبيوتر ..

وبقى أن يعملوا على استعادتها ..

ولكن (كيرك) فاجأهم فى هذه اللحظة، وأصاب (نور) بمسدسه الليزرى، بعد أن حصل على إحداثيات الكرة الفيروزية، وقرر أن يتخلص من الفريق كله، حتى يصبح وحده الذى يعلم موقع آخر أمل للأرض ..

الأمل الفيروزى ..(*)

* * *

كان الأمل ضئيلاً ..

أو منعدمًا ..

وكان (كيرك) يسيطر على الموقف كله تقريبًا، فهو الوحيد الذى يمتلك سلاحًا، والوحيد الذى يرتدى قناعًا واقيًا ..

والوحيد الذى لا يضم قفصه الصدرى قلبًا ينبض بالمشاعر ..

أية مشاعر ..

وفى صرامة تمتزج بشىء من السخرية والشماتة، استعد (كيرك) لتفجير قنبلته السامة، فى وجوه الجميع، وهو يهتف :

ـ الوداع أيها الأبطال .. الوداع .

وفجأة تردد ذلك الدوىّ، بين جدران المرصد ..

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (كنز الفضاء) .. المغامرة رقم (٤٨) .

دوى أعاد إلى الأذهان ذكرى قديمة ، أشبه بمشهد من فيلم سينمائى عتيق .. دوى رصاصة ..

رصاصة تقليدية ، انطلقت من مدخل المرصد ، وعبرت فراغه ، قبل أن ترتطم بقناع الأكسجين ، الذى يرتديه (كيرك) ، وتنتزع خزان الأكسجين المضغوط الصغير ، المثبت به ..

وفى ذهول واستنكار وتوتر ، التفت (كيرك) إلى مصدر الرصاصة ، وقد انقبضت أصابعه على القنبلة السامة فى شدة ..

ومعه التفتت عيون الجميع

وبفرحة عارمة ، هتفت (نشوى) :

ـ (أكرم) .

كان (أكرم) يقف عند باب المرصد ، مستندًا بكتفه إليه فى هدوء ، ومصوبًا مسدسًا تقليديًا إلى (كيرك) ، ومن خلفه (مشيرة) ، تمسك كتفيه ، وتتطلع من خلفهما إلى المشهد فى توتر بالغ ..

وكان هذا أروع ما رآه الفريق ، منذ وقت طويل ..

وفى صرامة ، قال (أكرم) ، مصوبًا مسدسه إلى (كيرك) :

ـ هيا أيها الوغد .. ألق القنبلة السامة لو جرؤت .

بدا الغضب على وجه (كيرك) ، وازدادت أصابعه انقباضًا على القنبلة ، وهو يرمق (أكرم) بنظرات محنقة ، فى حين نهض (نور) ، وهو يمسك إصابته بيده ، هاتفًا :

ـ يا لحسن حظنا !.. كيف أتيت إلى هنا يا (أكرم) ؟

أشار (أكرم) بإبهامه خلف ظهره وهو يقول :

ـ دموعها .

نقلت (سلوى) بصرها ، بين وجهه ووجه (مشيرة) ، قبل أن تقول فى دهشة واضحة :

ـ دموع من ؟.. (مشيرة) ؟

بدا وكأن (مشيرة) تتوارى خلف ظهره ، وهو يجيب :

ـ نعم .. دموع (مشيرة) .. كنت أوصلها إلى منزلها ، عندما راحت تتحدث فى عصبية ، وتقول : إنها لا تحتمل وجودها بعيدًا عن الأحداث ، وأنها كانت تتمنى معرفة ما يحدث هنا ، فى المرصد ، ثم انهمرت دموعها فى حرارة .

وابتسم مستطردًا :

ـ وأنا لا أحتمل دموع النساء .

توارت (مشيرة) خلف ظهره أكثر ، وكأنها تشعر بالخجل ، فى حين تابع هو فى لهجة عاطفية حانية :

ـ وخاصة دموع (مشيرة) .

تضرج وجه (مشيرة) بحمرة الخجل ، و (أكرم) يتابع فى سرعة :

ـ وهكذا أدرت عجلة القيادة ، وانطلقت إلى هنا دون تفكير ، على الرغم من تحذير (نور) لنا ، بعدم التدخل فى الأمر .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ صدقنى يا صديقى .. لم أشعر يومًا بالسعادة ، لمخالفة (مشيرة) أوامرى ، ورغبتها فى دس أنفها فى كل شىء ، بقدر ما شعرت بها اليوم .

قال (كيرك) فى حدة :

ـ ربما كانت تستحق قطع أنفها ، للسبب نفسه .

رمقته (مشيرة) بنظرة غاضبة ، فى حين قال له (أكرم) فى صرامة ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

ـ حذار أيها الوغد ، فالرصاصة التالية ستخترق رأسك مباشرة .

مط (كيرك) شفتيه فى ازدراء ، وقال :

ـ لم أتصوّر أن يحمل شخص متحضّر مسدسًا عتيقًا كهذا .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال فى سخرية :

ـ يمكنك أن تقول إننى شخص عتيق الطراز ، فصحيح أن مسدسات الليزر أكثر أمنًا ، وصمتًا ، وتأثيرًا ، إلا أننى ما زلت أعشق ذلك الصخب ، الذى تحدثه تلك المسدسات التقليدية .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ يدهشنى أنك تتحدث دائمًا عن الأسلحة والدمار ، وكأنك تعشقهما يا رجل، على الرغم من كل ما يسببانه من آلام للبشر ..

لوّح (أكرم) بمسدسه ، قائلًا :

ـ لكل منا نظرته للأمور يا عزيزى ، ولكل من ...

ولكن التلويح بالمسدس كان الخطأ ..

أكبر خطأ ارتكبه (أكرم) ، فى هذه اللحظة ..

لقد أبعد فوهة المسدس عن (كيرك) لحظة ، كانت تكفى هذا الأخير ـ كمحترف ـ ليدير فوهة مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته على (أكرم) ..

وأصابت الأشعة صدر (أكرم) ، ودفعته مترًا كاملًا إلى الخلف ، ليدفع معه (مشيرة) ، التى أطلقت صرخة هلع وذعر ، وهما يسقطان معًا أرضًا ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها

(كيرك) زر حزام الطيران ، وهو يهتف فى مزيج من السخرية والشماتة :

ـ خسرتم مرة ثانية .

وارتفع به حزام الطيران ، نحو فجوة المرصد العلوية ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـ وأخيرة .

ثم ألقى قنبلة الغاز السام ..

ألقاها مرة ثانية ، على رءوس الجميع ..

* * *

التقى حاجبا مسئول المخزن الوحيد ، بإدارة المخابرات العلمية الأمريكية ، وهو يطالع تلك الورقة ، التى أعطاه إياها (ميرفى) ، ثم رفع عينيه إليه ، وقال فى لهجة امتزج الشك فيها بالحيرة :

ـ هل ستحصل على كل هذه الأسلحة ؟

أجابه (ميرفى) ، وابتسامته الأنيقة تتألق على شفتيه :

ـ نعم .. سأحصل عليها كلها على الفور ، ودون إبطاء .

عاد الرجل يطالع الورقة فى سرعة ، ثم قال فى حدة :

ـ أتعلم ما يعنيه حصولك على كل هذا ؟.. إنه يعنى أنك ستحصل على الأسلحة المتبقية للإدارة تقريبًا .

قال (ميرفى) بهدوئه المثير :

ـ ستجد توقيع القائد بنفسه هنا ، و ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ هذا لا يكفى .. لن يمكننى صرف هذه الأسلحة دفعة واحدة.

ابتسم (ميرفى) أكثر ، وهو يقول :

ـ حذار يا رجل .. إنك تعوق أخطر مهمة للإدارة ، ولن يسمح لك القائد بهذا .

قال الرجل فى عناد :

ـ فليكن .. حصولك على كل أسلحة الإدارة ، يحتاج إلى موافقة رئيس الجمهورية شخصيًا .

حافظ (ميرفى) على ابتسامته العذبة الأنيقة ، وهو يقول :

ـ هل تصرّ على هذا ؟

أجابه الرجال فى حزم :

ـ تمام الإصرار .

هز (ميرفى) كتفيه فى هدوء ، وقال :

ـ فليكن .. إنك لم تترك لى الخيار .

وانقض فجأة على الرجل ، وأحاط عنقه بساعده ، ثم أمسك شعره بقبضته الأخرى ، ولوى عنقه فى قوة مباغتة ..

وارتفع صوت الفرقعة المخيفة ، وجحظت عينا الرجل ، ثم حل (ميرفى) ساعده عن عنقه ، وتركه يسقط عند قدميه ، وهو يقول فى هدوء ، وابتسامته العذبة ماتزال تتألق على شفتيه :

ـ أظنك قد اقتنعت الآن .

ثم أخرج من جيبه جهاز اتصال دقيق ، وقال :

ـ واجهت بعض الصعوبات فى المخزن .. لقد رفض المسئول تسليمى كل ما طلبت من أسلحة ، وطلب توقيع رئيس الجمهورية مباشرة .

أتاه صوت النحيل ، وهو يقول فى عصبية :

ـ رئيس الجمهورية ؟!.. أية حماقة هذه ؟ سأعاقب هذا الحقير .. دعه يتحدث إلىّ ، و ...

قاطعه (ميرفى) فى هدوء :

ـ لا داعى أيها القائد .. لقد تحدثت أنا إليه .

ثم ابتسم ابتسامته العذبة ، وتابع :

ـ ويمكنك إرسال من يحل محله ، و .. ويحمل جثته .

وأنهى الاتصال فى هدوء ، ثم اتجه إلى داخل المخزن ، ليحصل على الأسلحة اللازمة ، ويبدأ مهمته ..

مهمة تحطيم الأمل ..

أمل الأرض الأخير .

* * *

٢ ـ القنبلة ..

صرخت (مشيرة) فى هلع ، وهى تتعلق بـ (أكرم) ، الذى سقط معها أرضًا فى عنف :

ـ لقد قتله .. قتل (أكرم) .

ولكن (أكرم) أجابها فى ألم ، وهو يمسك صدره :

ـ لا .. لم يقتلنى بعد .

فى نفس اللحظة ، كان (كيرك) يلقى قنبلة الغاز السام ، فهتف الفلكى (هاشم) فى رعب :

ـ لقد ألقى قنبلته .. سيقتلنا الغاز السام جميعًا .

هبَّ (نور) ليعدو نحو القنبلة ، وتحرَّك (رمزى) فى توتر ، محاولًا حماية (نشوى) ، وتراجعت (سلوى) فى ذعر ، وانطلق (محمود) ..

كان أسرع الجميع ، وهو ينطلق نحو القنبلة ، ثم يقفز كحارس مرمى بارع ، فيلتقطها بكفيه ، ويضمّها إلى صدره ، ويسقط معها أرضًا ..

واتسعت عيون الجميع فى دهشة ، إزاء ما فعله (محمود) ، فى حين نهض (أكرم) واقفًا فى سرعة ، على الرغم من آلامه ، وإصابة صدره ، ورفع مسدسه إلى أعلى ، وأطلق منه ثلاث رصاصات نحو (كيرك) ، الذى عبر الفجوة الطويلة فى قمة المرصد ، فى سرعة ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ لن تفلت منى .

ثم انطلق يعدو إلى خارج المرصد ، ورأى (كيرك) يبتعد على ضوء القمر ، فصوَّب مسدسه إليه فى إحكام ، وهو يقول :

ـ سأفسد محركاتك ، أيها الطائر الحقير .

وأطلق رصاصة من مسدسه ، أصابت هدفها فى دقة مدهشة .. رصاصة حطمت أحد المحركين النفاثيـــن ، فى حزام (كيرك) ، الذى صرخ فى غضب مذعور :

ـ يا للشيطان !!

ثم فقد سيطرته على حزامه النفاث ، الذى راح يدفعه يمنة ويسارًا فى عنف ، وهو يبذل جهده للهبوط على الأرض ، حتى لا يهوى فوقها متحطمًا ، فى حين تابعه (أكرم) أرضًا ، وهو يقول فى إصرار :

ـ طر كما شاء لك الطيران أيها الوغد ، ولكن ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع .. وعندما تهبط إلى الأرض ، ستجدنى فى انتظارك .

أما فى الداخل ، فقد اندفع (نور) نحو (محمود) ، وقال :

ـ رائع يا صديقى .. لقد فعلت ما عجزنا عنه جميعًا .. لقد أنقذت حياتنا .

نهض (محمود) ، وهو يضمّ إليه القنبلة فى حذر ، وعدَّل وضع منظاره بيده الأخرى ، قائلًا فى ارتباك :

ـ إننى لم أفكر .. لقد شاهدته يلقى القنبلة ، فتحرّكت فى سرعة ، و ...

قاطعه (رمزى) ، وهو يربت على كتفيه فى حرارة :

ـ وهذه هى البطولة الحقّة يا فتى .

ثم فقد سيطرته على حزامه النفاث ، الذى راح يدفعه يمنة ويساراً فى عنف ، وهو يبذل جهده للهبوط على الأرض ..

ثم التفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ إنك تحتاج إلى الإسعاف يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ بل (أكرم) هو الذى يحتاج إليه فى شدة .

بدت (مشيرة) شاحبة ، وهى تقول :

ـ ولكن أين هو (أكرم) ؟.. لست أجده .

هتف (نور) :

ـ ماذا ؟.. ماذا تعنين بأنك لاتجدينه ؟.. إنه يقف خارج المرصد حتمًا .

قالت فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ هذا ما تصوَّرته، عندما اندفع إلى الخارج، وسمعته يطلق النار على (كيرك) ، ولكننى خرجت خلفه، فلم أجد له أدنى أثر.

تبادل الجميع نظرات قلق شديد ، وقال (نور) :

ـ أين ذهب بالله عليه ؟.. أين ؟

وكان هذا هو السؤال بالفعل ..

أين ذهب (أكرم) ؟..

أين ؟..

* * *

استخدم (كيرك) كل مهاراته ، للتحكم فى حزام الطيران ، الذى ينطلق بمحرِّك جانبى واحد ، حتى أمكنه الهبوط به ، على مشارف مدينة (حلوان الجديدة) ، ولم يكد يستقرّ فوق أرض المكان ، حتى خلع الحزام ، وألقاه بعيدًا فى عنف ، وهو يهتف ساخطًا :

ـ اللعنة !.. يبدو أننى لم أقدِّر هؤلاء المصريين حق قدرهم .

ثم استل مسدسه الليزرى ، وبدأ يتحرك ، باحثًا عن وسيلة مواصلات ، بعد أن ترك سيارة الشرطة ، إلى جوار المرصد ، ولكنه فوجئ بصوت من خلفه ، يقول فى حزم صارم :

ـ إلى أين أيها الوغد ؟.. إنها محطتك الأخيرة .

استدار (كيرك) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ولكنه فوجئ بمسدس (أكرم) مصوبًا إلى رأسه مباشرة ، وخلفه هذا الأخير ، يمسك صدره فى ألم ، وهو يقول فى حدة :

ـ ألا تعترف الآن أنك خسرت اللعبة كلها ؟

ندت من (كيرك) حركة بسيطة ، توحى بمحاولته استخدام مسدسه ، فأضاف (أكرم) فى صرامة :

ـ هيا .. حاول أن تستخدمه ، وسترى أن رصاصة مسدسى ستكون أسرع كثيرًا .

قال (كيرك) فى توتر :

ـ من قال إننى أنوى استخدامه ؟

أجابه (أكرم) :

ـ ألقه من يدك إذن .

ألقى (كيرك) مسدسه الليزرى ، وقال وهو يرسم على شفتيه ابتسامة عصبية :

ـ إنك تبدو لى أكثر ذكاءً من الآخرين .. أهذا صحيح ؟

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

نقل (كيرك) بصره بين وجه (أكرم) ، وخيط الدم الذى يسيل من جرح صدره ، وقال :

ـ ولكنك لن تحتمل الأمر طويلًا .. من الواضح أن طلقتى لم تصب قلبك مباشرة ، ولكن الدماء التى تفقدها ، مع تلك الجهد الذى تبذله ، لن يمهلاك الكثير ، قبل أن تسقط فاقد الوعى .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ اطمئن أيها الوغد .. لو شعرت أننى سأسقط ، فلن أبخل على رأسك برصاصة مباشرة ، قبل أن أفعل .

أجابه (كيرك) فى خبث :

ـ ولماذا نتقاتل بهذا العداء ؟.. أراهن أن لدى عرضًا سيسيل له لعابك .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ إننى أرفضه مقدمًا .

مد (كيرك) يده إلى حزامه ، وهو يقول :

ـ لا .. لست أظنك ستقاوم بريق تلك الجوهرة ، التى ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يضغط زرًا خفيًا فى حزامه ، انطلقت إثره حزمة من أشعة أرجوانية ، أصابت (أكرم) فى صدره ، ودفعته إلى الخلف فى عنف شديد ..

وفى شماتة ساخرة ، قفز (كيرك) نحو مسدسه ، صائحًا :

ـ خسرت أيها المصرى .. خسرت .

كان (أكرم) يشعر وكأن سيارة مسرعة قد ارتطمت بصدره ، وكان واثقًا ، من تلك الآلام ، التى تصاعدت إلى عنقه ، من أن بعض أضلاعه قد انكسر ، خاصة مع تثاقل أنفاسه ، وشعوره الجارف بالدوار ..

ووسط تلك الصورة الضبابية المهتزة ، التى تتراقص أمام

عينيه ، رأى (كيرك) يلتقط مسدسه الليزرى ، ويصوّبه إليه ، وسمع صوته ، وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، قائلا :

ـ الوداع أيها المصرى الأحمق .

وبكل غريزة البقاء ، الكامنة فى أعماق البشر ، رفع (أكرم) مسدسه ، نحو تلك الصورة المهتزّة ، وضغط زناده بكل قوته ، فى نفس اللحظة التى تألق فيها شعاع الليزر فى المكان ..

ومن بعيد ، سمع (نور) ورفاقه صوت الرصاصات ، وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. إنه (أكرم) .

قفز الجميع داخل سيارة (نور) ، التى انطلق بها نحو مصدر الصوت ، وهو يشعر بقلق وتوتر شديدين ، حتى بلغ المكان ، فضغط فرامل السيارة فى قوة ، وتجمّدت يداه على عجلة القيادة لحظات ، أمام ذلك المشهد ..

كان الاثنان غارقين فى بحر من الدماء ..

(كيرك) و (أكرم) ..

وبكل التوتر والذعر ، قفزت (مشيرة) من السيارة ، واندفعت نحو (أكرم) ، صارخة :

ـ لا يا (أكرم) .. لا ..

وتبعها (رمزى) و (نشوى) و (سلوى) ، فى حين أسرع (نور) و (محمود) يفحصان (كيرك) . وسمعا (رمزى) يقول لـ (مشيرة) التى انخرطت فى بكاء حار :

ـ إنه حى .. ولكنه فقد الكثير من دمه ، ويحتاج إلى إسعاف سريع .

والتفت (رمزى) إلى (نور) ، وهتف :

ـ ماذا عن (كيرك) ؟

أجابه (نور) :

ـ إنه لم يمت بعد ، على الرغم من أن (أكرم) أصابه بثلاث رصاصات ، فى صدره ومعدته .

ثم هب واقفًا ، واندفع نحو سيارته ، والتقط جهاز الاتصال بها ، مستطردًا :

ـ ولكنك على حق .. إنه يحتاج إلى إسعاف سريع .. كلاهما يحتاج إليه .

وبدأ اتصاله بوحدة الإسعاف ، متابعًا :

ـ وبشدة ..

* * *

توقف الزورق الفرى الأمريكى ، على مسافة نصف كيلومتر ، من ساحل (الإسكندرية) ، وقال قائده لـ (ميرفى) :

ـ ها هى ذى (الإسكندرية) .. لن يمكننى التقدم أكثر من هذا ، ولو أن وسائل الأمن القديمة كانت تعمل كالسابق ، لما أمكننا حتى عبور مياههم الإقليمية(*) .

(*) المياه الإقليمية : هى الجزء من البحر ، المجاور لإقليم أية دولة ، وتمتد إليه سيادتها ، ولا يختلف فى وضعه عن أى جزء من أراضيها قانونيًا ، والدولة يمكنها السماح للسفن المدنية والتجارية بالمرور فى هذا الجزء البحرى ، لو أن هذا لايضرّ بسلامتها وأمنها . وبالنسبة لـ (مصر) ، كانت المياه الإقليمية تمتد لمسافة ستة أميال بحرية من الشاطئ ، ثم صدر قرار جمهورى ، عام ١٩٥٨م ، بمدها إلى اثنى عشر ميلا بحريًا .

جاوبه (ميرفى) بابتسامته العذبة ، وهو يقول :

- لا عليك .. سأقطع الجزء المتبقى سباحة .

تطلّع الرجل إلى الأشياء التى يحملها (ميرفى) ، هاتفًا فى دهشة :

- وأنت تحمل كل هذا ؟

ابتسم (ميرفى) ، وقال :

- لا عليك .. لقد اعتدت هذا .

وجمع كل الأشياء فى صندوق متوسّط ، أغلقه فى إحكام ، وقال :

- إلى اللقاء .. ابق فى الجوار ، فربما أستدعيك فى أية لحظة .

قال الرجل فى حيرة :

- بالطبع ، ولكننى ما زلت أتساءل عن ..

قاطعه (ميرفى) بحمله الصندوق ، وهو يقول :

- إلى اللقاء ..

وقفز فى البحر ..

وارتفع حاجبا الرجل فى دهشة .

لقد هبط (ميرفى) إلى البحر ، وهو يمتطى الصندوق ، الذى سبح على سطح الماء فى سهولة ، وبرز من جانبيه جناحان قصيران ، جعلاه أشبه بسمكة طائرة ، قبل أن يضغط (ميرفى) زرًا على سطحه ، مكرّرًا بابتسامته العريضة :

- إلى اللقاء مرة أخرى .

وانطلق به الصندوق ، كزورق بخارى صغير ، نحو تلك

البقعة ، التى لم يبلغها العمران بعد ، على شاطئ (الإسكندرية) الجديد ..

وبدأت مهمته ..

* * *

انخرطت (مشيرة) فى بكاء حار ، وهى تجلس أمام حجرة العمليات الجراحية ، فى مستشفى الطوارئ ، وربتت (سلوى) على كتفها فى إشفاق ، وهى تقول :

- اطمئنى يا (مشيرة) .. لقد أكد لى الدكتور (فائق) ، أنه سينجو بإذن الله .. اطمئنى .

قالت (مشيرة) فى مرارة :

- ولكنه مصاب بطلقتى ليزر فى صدره .

قالت (نشوى) :

- لن تكون إصابته أعنف من إصابة (كيرك) ، وعلى الرغم من هذا ، فالأطباء يؤكدون أنه أيضًا سينجو .

هتفت (مشيرة) فى حدة :

- أتمنى أن يموت .. إنه السبب فى كل هذا .

قال (نور) فى خفوت :

- بل أتمنى أنا أن ينجو .

صاحت فى مرارة :

- وما حاجتنا بنجاته ؟

لوّح بكفه ، قائلاً :

- نفس حاجتنا إلى المعرفة .. إننا نجهل حتى الآن ، ما إذا كان (كيرك) و (ساندرا) هما كل الفريق الأمريكى ، الذى يسعى خلف مكعباتنا ، أم أنه هناك رفاق لهما ، يمكنهم مواصلة القتال .

وانطلق به الصندوق ، كزورق بخارى صغير ، نحو تلك البقعة ، التى لم يبلغها العمران بعد ، على شاطىء (الاسكندرية)

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ أتظن هذا حقًا ؟

أجابه (نور) :

ـ إنه مجرَّد تساؤل يا (رمزى) ، وينبغى ألا نهمله أبدًا .

قال (محمود) :

ـ ولكن (كبرك) هذا هو الوحيد ، الذى يعلم كل شىء عن حقيبة المكعبات ، وموقعها فى الفضاء ، ومصرعه قد يعنى إنقاذ آخر أمل للأرض .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ لن أتمنى موته لهذا السبب .

ثم نهض واقفًا ، واتجه إلى نافذة حجرة الانتظار ، وتطلَّع منها إلى الأفق ، الذى بدأ يتلوَّن بأضواء الشروق الأولى ، وتابع .

ـ ولكننى أتمنى لو أمكننا العمل بصورة أسرع .

سألته (نشوى) :

ـ ماذا تعنى يا أبى ؟

التفت إليها ، قائلًا :

ـ أعنى أنه من الضرورى أن نتحرك بسرعة أكبر ، لصنع آلة نسخ مكعبات الكمبيوتر ، حتى يمكننا توزيع تلك المعلومات على العالم أجمع ، قبل أن ينجح أى شخص فى الحصول عليها ، ويفسد العصر الجديد كله .

سألته (سلوى) فى حيرة :

ـ وكيف يمكننا نسخها ، ولم نحصل عليها بعد ؟

عاد يتطلع من نافذة الحجرة إلى الأفق ، وإلى الشمس ، التى ظهر طرفها ، وسط مهرجان من الألوان الرائعة ، وقال :

ـ سنحصل عليها بإذن الله .

سأله (رمزى) :

ـ من الفضاء ؟!.. إننى أشعر بفضول شديد ، لمعرفة كيف سنصل إليها حتى يا (نور) .

صمت (نور) لحظات ، وهو يتطلع إلى الأفق ، ثم قال :

ـ هناك وسيلة واحدة ، فى الأرض كلها ، للسفر إلى الفضاء .. وسيلة نعرفها جميعًا ، ولكننا لم نفكر فيها قط .

سأله الجميع فى صوت واحد :

ـ ما هى ؟

أجاب فى حماس :

ـ إنها تلك السفينة الفضائية ، القابعة إلى جوار قلعة (قايتباى) ، فى (الإسكندرية) .. سفينة الحراسة الفضائية ، التى جاء بها (رالف) و (كارلو) و (جيسى) إلى هنا .

ثم التفت إليهم ، مستطردًا :

ـ إننا نمتلك الوسيلة يا رفاق ، وبقى أن نتخذ القرار ، وننطلق خلف شمسنا الفيروزية الصغيرة .

وشد قامته ، وهو يستطرد :

ـ ننطلق إلى الفضاء .

وامتلأت قلوبهم برهبة غامضة .

* * *

٣ ـ العميل ..

لم يكد الطبيب يغادر حجرة العمليات الجراحية ، حتى اندفعت (مشيرة) نحوه ، تسأله فى لهفة :

ـ هل سينجو ؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا ، وهو يجفف عرقه الغزير ، وقال :

ـ نعم .. سينجو بإذن الله .. لقد استخرجنا الرصاصات من صدره ومعدته ، واضطررنا إلى ..

قاطعته فى عصبية :

ـ لست أقصد هذا .. أقصد الآخر .

هز رأسه ، قائلًا :

ـ آه .. الجواب يختلف إذن .

شحب وجهها ، وهى تتراجع فى هلع .. قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟.. هل ؟..هل ؟

أسرع يقول :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. ما أقصده بأن الجواب يختلف ، هو أن الثانى قد نجا بالفعل ، فإصابات الليزر أقل ضررًا من إصابات الرصاص العتيقة .

أطلقت من أعماق صدرها زفرة حارة ، وقالت :

ـ حمدًا لله .

ثم سألته فى لهفة :

ـ أيمكننى رؤيته ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. لا يمكنك رؤية أحدهما ، فلقد تم نقلهما إلى حجرتى العناية المركّزة ، حتى يستعيدا وعيهما .

ثم تطلّع إلى حجرة الانتظار ، وسألها :

ـ ولكن أين باقى رفاقك ؟

أجابته فى ضيق :

ـ لقد انصرف الجميع .. (نور) و (رمزى) سافرا إلى (الإسكندرية) ، أما (محمود) و (سلوى) و (نشوى) ، فقد ذهبوا إلى مقر المخابرات الجوية ليتعاونوا على صنع شىء ما .

سألها فى اهتمام :

ـ أى شىء هذا ؟

فتحت شفتيها ، لتجيب بعبارة ما ، ثم لم تلبث أن أطبقتهما لحظة فى حزم ، وهى تقول :

ـ لن يمكننى أن أخبرك يا سيّدى الطبيب .. معذرة .

ثم أضافت فى شىء من الزهو :

ـ إنها أسرار .. أسرار الدولة .

* * *

انهمكت (نشوى) لحظات ، فى تعديل برنامج جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، ثم لم تلبث أن اعتدلت ، قائلة فى أسف :

ـ أشعر بتأنيب الضمير .. لم يكن ينبغى أبدًا أن نترك المستشفى ، قبل الاطمئنان على (أكرم) .

أجابها (محمود) ، وهو يتعاون مع (سلوى) ، فى وضع تصميمات الناسخ الكمبيوترى الجديد :

ـ الأطباء أكدوا أنه سينجو ، و (نور) على حق ، فى ضرورة أن نعمل بأقصى سرعة ، فالدقائق قد تغيّر مجرى الأمور ، فى العالم كله .

غمغمت (سلوى) :

ـ هذا صحيح .

تنهدت (نشوى) ، وقالت :

ـ إذن فقد انقسمنا إلى فريقين .. فريق يسعى لتصنيع جهاز النسخ الجديد ، والفريق الثانى يعمل على الانطلاق إلى الفضاء ، واستعادة الحقيبة .

قال (محمود) :

ـ هذا يجعل الأمور أسرع ، وأفضل .

سألت مرة أخرى فى اهتمام :

ـ ولكن هل ينجح أبى و (رمزى) وحدهما ، فى قيادة سفينة فضاء ، والصعود بها ، إلى حيث الحقيبة ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تنهمك أكثر فى عملها :

ـ قيادة سفن الفضاء الحديثة ليست بالأمر العسير ، بالنسبة لرجل مثل (نور) ، له خبرة سابقة ، فى العمل فى شرطة الفضاء (*) .

ثم اعتدلت مستطردة فى توتر ملحوظ :

ـ كل ما أدعو الله (سبحانه وتعالى) من أجله ، هو أن يعودوا ناجحين .

(*) راجع قصة (رنين الصمت) .. المغامرة رقم (٣١) .

صمتت لحظة ثم أضافت بصوت مرتجف :

ـ وسالمين .

* * *

تطلّع (رمزى) إلى سفينة الفضاء الكبيرة ، القابعة إلى جوار قلعة (قايتباى) ، وقال بصوت ملؤه الرهبة :

ـ مرأى هذه السفينة ، بذلك الشعار المرسوم على جدرانها ، يعيد إلى ذهنى ذكريات قديمة .

سأله (نور) مبتسمًا :

ـ أى نوع من الذكريات ؟.. ذكريات مغامرتنا ، على سطح القمر(*) ، أم داخل هذه القلعة(**) ؟

ابتسم (رمزى) ، وتمتم :

ـ الاثنان معًا .

خيّم عليهما الصمت ، وهما يتجهان إلى السفينة ، وكل منهما يسترجع ذكريات الحنين ، وتسلّق (نور) السلم ، الذى يقود إلى كابينة القيادة ، قائلاً :

ـ من حسن الحظ أن المسئولين قرّروا الحفاظ على هذه السفينة ، كذكرى لما عانته الأرض ، قبل أن يستعيد البشر عقولهم .

تسلّق (رمزى) السلم خلفه ، وهو يقول :

ـ ولكن (رالف) انتزع بعض الصمامات الرئيسية ، بعد أن استقرّ به وبرفاقه المقام داخل القلعة ، خشية أن يرحل (كارلو)

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .

(**) راجع قصة (حصن الأشرار) .. المغامرة رقم (٨٢) .

أو (جوسى) بالسفينة ، ولست أدرى ما إذا كنا نستطيع تعويض هذه الصمامات أم لا .

غمغم (نور) ، وهو يدلف إلى كابينة القيادة :

ـ من يدرى يا صديقى ؟ من يدرى ؟

كانت الكابينة نظيفة خالية ، كما لو أن السفينة لم تهبط على الأرض إلا هذا الصباح ، وجلس (نور) خلف أزرار القيادة ، وراح يراجع كل عدادات ومؤشرات وأزرار السفينة ، قبل أن يقول :

ـ سنحتاج إلى ثلاثة صمامات رئيسية ، أما الباقى ، فيمكن الاستغناء عنه ، نظرًا لقصر الرحلة .

سأله (رمزى) :

ـ المهم هل يمكننا الحصول عليها ؟

أجابه (نور) ، وهو ينهض لفحص باقى السفينة :

ـ هذا السؤال يتم توجيهه إلى (سلوى) و (محمود) .

واصل فحصه للسفينة ، وقال :

ـ توجد هنا ثياب فضائية لثلاثة أشخاص فحسب ، ونظرًا لأننا شخصان ، فهذا يبدو مناسبًا .

سأله (رمزى) :

ـ وماذا عن الوقود ؟

أجابه (نور) :

ـ هذه السفن تدار بالوقود الأمينى ، والمؤشرات تشير إلى أن خزانها يحوى كمية مناسبة منه ، للذهاب والعودة ، وأظنها تكفى ، مادمنا نعلم موضع الحقيبة بالتحديد .

بدا القلق على وجه (رمزى)، فسأله (نور) :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يلوّح بكفه :

ـ لا تروق لى علاقة تلك الأمور ، التى تتعلق كلها عند حافة بركان.

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

وشرد بصره ، وهو يستطرد :

ـ وسوى الاعتماد على الله (سبحانه وتعالى) .

ثم ابتسم ، وأضاف فى ثقة :

ـ وهذا أفضل ما يفعله البشر .. أى بشر .

* * *

شعرت ممرضة مستشفى الطوارىء بالارتياح ، وهى تتطلع إلى وجه (ميرفى) الوسيم ، وابتسامته العذبة ، ووجدت نفسها تبتسم بدورها ، وهى تسأله :

ـ هل من خدمة ، يمكننى تقديمها إليك ؟

أجابها فى مودّة :

ـ بالتأكيد .. يكفى أن تسمحى لى بالتطلع إلى وجهك الجميل ، وتكون خدمة لن أنساها طيلة عمرى .

أسعدتها كلماته ، ولكنها حافظت على جديتها ورصانتها ، وهى تقول :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكن الوقت هنا لا يسمح بمثل هذه المجاملات

مطّ شفتيه ، وقال :

ـ يا للخسارة !

كان يتحدث باللغة العربية ، وبلهجة مصرية خالصة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كان هناك شىء ما ، فى حديثه أو ملامحه ، يوحى بأنه أجنبيًا ، لذا فقد سألته فى حذر :

ـ هل تطلب شيئًا محدودًا ؟

أجاب وهو يلتقط من جيبه بطاقة صغيرة ، ويقدمها إليها :

ـ نعم .. أنا الدكتور (منير عزمى) طبيب جديد لديكم هنا ، وأريد تعرف المكان قبل أن أبدأ عملى .

التقطت البطاقة ، وتطلّعت إليها فى شك ، قبل أن تعيدها إليه ، قائلة :

ـ عجبًا !.. لم ترد أية تعليمات ، بشأن قدوم طبيب جديد .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!.. يا لهم من مهملين !

ثم مال نحوها ، مستطردًا بصوت خافت ، وكأنه يبوح سرًا بالغ الخطورة :

ـ المفروض أننى منتدب ، من المخابرات العلمية ، لرعاية ذلك الأمريكى .

قالت فى اهتمام ، وبصوت خافت أيضًا :

ـ الذى أصابوه بالرصاصات .

ابتسم قائلًا :

ـ تمامًا .. أين هو الآن ؟

أجابته فى تردد :

ـ فى غرفة العناية المركزة رقم (اثنين) ، ولكن ..

سألها بابتسامته الأنيقة :

ـ ولكن ماذا ؟

قالت في تردد أيضًا ، وهي تمد يدها ، لتلتقط سماعة الهاتف الداخلي :

- ولكن لابد من إبلاغ الدكتور (فريد) ، مدير المستشفى أولًا ، و...

قاطعها وهو يضع يده على سماعة الهاتف الداخلي في صرامة:

- لن يمكنك هذا .

ارتجفت وهي تسأله :

- لماذا ؟

طالعتها ابتسامته الوسيمة ، وهو يقول :

- لأنه لن يمكنك هذا .

وانتزع مسدسه الليزري في حركة سريعة، فتراجعت الممرضة في رعب، ولكنه أطلق مسدسه على رأسها في هدوء، ودون أن تفارق ابتسامته شفتيه، وتركها تترنح، وتسقط جثة هامدة، ثم أعاد مسدسه إلى جيبه في هدوء، وهو يبتسم قائلًا:

- أظنك عرفت السبب الحقيقي الآن .

ثم حملها في خفة ، واتجه بها إلى حجرة التنظيف ، ووضع جثتها هناك ، وأغلق الباب خلفها في هدوء ، ثم التقط من حقيبته الصغيرة معطفًا طبيًا ، وأشعل جهازًا خاصًا داخل الحقيبة ، ووضعها فوق مقعد الممرضة التي قتلها ، خلف مكتب الاستقبال ، ووضع كفيه في جيبي المعطف ، واتجه في هدوء إلى حجرة العناية المركزة رقم (اثنين) ، وعلى بابها استقبله حارس أمن خاص ، وسأله :

- إلى أين ؟

تطلع إلى الحارس في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- عجبًا !.. كيف تمنعني من الدخول ؟.. إنني أحد أطباء المستشفى .

قال الحارس في حزم :

- لدي أوامر بمنع أي شخص من الدخول إلى هنا ، فيما عدا الدكتور (فؤاد) ، وممرضة قسم الرعاية المركزة .

قال (ميرفي) في هدوء :

- ولكنني أحمل تصريحًا خاصًا .

سأله الحارس :

- هل يمكنني مطالعته ؟

أجابه بابتسامته الهادئة الوسيمة :

- بالطبع .

ومد يده إلى جيبه، ثم انقضّ بها فجأة على معدة الحارس، الذي انثنى مطلقًا شهقة ألم ودهشة ، فهوى (ميرفي) على عنقه من الخلف بضربة هائلة، سقط إثرها الحارس فاقد الوعي..

وكان من الممكن أن يكتفي (ميرفي) بهذا ، ولكنه أخرج مسدسه الليزري ، وقال في هدوء :

- معذرة .. إنني أكره المفاجآت .

وأطلق أشعة مسدسه على رأس الحارس ، الذي انتفض جسده في قوة ، ثم همدت حركته تمامًا ، فجذبه (ميرفي) إلى داخل حجرة العناية المركزة ، وألقاه على أرضيتها ، ولم يكد يلتفت إلى الفراش الطبي الخاص ، الذي يرقد فوقه (كيرك) ، حتى رأى ممرضة ترتجف رعبًا ، وهي تسأله :

- من أنت ؟.. وماذا تفعل هنا ؟

لم يضع لحظة واحدة فى التحدث إليها ، وإنما رفع مسدسه ، وأطلق خيط الأشعة القاتل على قلبها بسرعة ، ورآها ترتطم بالحائط ، ثم تسقط صريعة ، ولكنه لم يبال ، بل تقدم إلى فراش (كيرك) ، ورأى الأنابيب والأجهزة الدقيقة ، المتصلة بجسده ، والتى تنقل إشارات مخه وقلبه إلى شاشات خاصة ، تملأ المكان ، فأخرج من جيبه محقنًا ، يحوى سائلًا وردیًا ، دفعه فى عروق (كيرك) وانتظر لحظات ، حتى انتفض جسد (كيرك) انتفاضة خفيفة ، وفتح هذا الأخير عينيه ، وتطلع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم فى ضعف :

- (ميرفى) .. أأنت هنا ؟

سأله (ميرفى) فى خشونة :

- كيف وصلت الأمور بك إلى هنا ؟

شرح له (كيرك) ما حدث ، فى كلمات مقتضبة ، وبصوت واهن متهالك ، واستمع إليه (ميرفى) فى اهتمام ، وردّد خلفه إحداثيات الكرة ، واسم المرصد والفلكى (هاشم) ، ثم قال فى صرامة :

- لقد ارتكبت أكثر من خطأ يا (كيرك) ، وكلها أخطاء قاتلة .

هزّ (كيرك) رأسه فى تهالك ، وقال :

- كلا يا (ميرفى) .. لم أرتكب أية أخطاء ، ولكن هؤلاء المصريين شياطين .. إنهم ..

كرّر (ميرفى) فى صرامة :

- ارتكبت عدة أخطاء يا (كيرك) .

أدرك (كيرك) ما تعنيه تلك اللهجة الصارمة ، فاتسعت عيناه فى هلع ، وهو يقول :

لم يضع لحظة واحدة في التحدث إليها ، وإنما رفع مسدسه ، وأطلق خيط الأشعة القاتل على قلبها بسرعة ..

- لا .. لا يا (ميرفى) .. خذنى من هنا .. أخرجنى من هذا المكان ، وسنتعاون معًا ، لإصلاح كل الأمور .

ابتسم (ميرفى) فى سخرية ، وقال :

- نتعاون ؟!.. كلا يا صديقى .. (ميرفى) لا يحتاج أبدًا إلى تعاون .

ثم أخرج من جيبه اسطوانة صغيرة ، راح يثبتها على صدر (كيرك) ، مستطردًا بابتسامته الناعمة :

- ولكننى أشفق عليك يا عزيزى (كيرك) ، من هذه الحياة المرهقة .. صدقنى يا صديقى .. ستجد فى الموت راحة كبيرة .

اتسعت عينا (كيرك) ، فى رعب هائل ، وصاح :

- لا يا (ميرفى) .. إننا صديقان .. لقد تعاوننا من قبل .. أليس كذلك ؟.. تذكر يا (ميرفى) .. لقد أنقذت حياتك ذات مرة فى (موسكو) هل تذكر هذا ؟..

ابتسم (ميرفى) ابتسامة هادئة ، وهو يضغط منتصف الأسطوانة ، قائلاً :

- بالطبع يا صديقى . إننى أذكره تمامًا .

أطلقت الأسطوانة شحنة كهرومغناطيسية عالية ، وجحظت عينا (كيرك) فى رعب وألم ، فى حين راح رسام المخ الكهربى ، المتصل برأسه ، يرسم خطوطًا بالغة العنف ، فى حين قفز عدد النبضات ، على شاشة رسام القلب إلى ثمانمائة نبضة ، فى الدقيقة الواحدة ، ثم ارتفع إلى ألف ، و ...

وشهق (كيرك) شهقة قوية ، وانتفض جسده عدة مرات ، ثم أطلق رسام القلب صفيرًا منتظمًا ثابتًا ، فابتسم (ميرفى) وقال فى سخرية :

- أذكر جيدًا أنك أنقذت حياتى ذات مرة يا صديقى .. الوداع .. الوداع أيها الصديق الوفى .

وغادر الحجرة فى هدوء ، ثم لم يلبث أن غادر المستشفى كله ، وابتعد عنه لمسافة كافية ، قبل أن يعمل الجهاز ، الذى أشعله فى حقيبته من قبل ، ويدوى الانفجار ..

انفجار المستشفى ..

* * *

٤ ـ التخطيط..

استمع (نور) إلى ماحدث فى توتر شديد، وسأل ابنته (نشوى)، التى قصّت عليه الأمر كله :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟.. هل أصابه الانفجار بسوء ؟

هزّت رأسها نفيًا، وقالت :

ـ لا .. لقد كان يرقد فى جناحٍ آخر، داخل حجرة العناية المركّزة رقم واحد، ومعه (مشيرة)، والانفجار دمّر الجناح الثانى تمامًا .

سأل (نور) :

ـ وماذا قال الخبراء، حول سبب الانفجار ؟

أجابته (سلوى) هذه المرة :

ـ لم يصدر تقريرهم بعد، ولكننى سمعت أحدهم يشير إلى أن الانفجار حدث حتمًا بفعل فاعل .

بدا الاهتمام والقلق على وجهه لحظات، قبل أن يسأل :

ـ وماذا عن القتلى ؟.. هل كان الانفجار سبب مصرعهم ؟

أجابته (سلوى) :

ـ الدكتور (محمد حجازى) ما يزال منهمكًا فى فحص جثثهم، حتى هذه اللحظة .

قال فى حزم :

ـ سأذهب إليه .

ثم أخرج من جيبه ورقة، ناولها إلى (سلوى)، وقال :

ـ هذه هى أرقام كل الصمامات، التى أتلفها (رالف)، فى سفينة الحراسة الفضائية، والأرقام الثلاثة الأولى بالغة الأهمية، فهى لصمامات تختص بإشعال المحرّك، وتوجيه السفينة فى الفضاء، والراصد الخاص بها، وأريد منك، أنت و (محمود)، البحث عن وسيلة للاستعاضة عنها، أما بالنسبة للصمامات الأخرى، فيمكننا الاستغناء عنها مؤقتًا .

قرأت الأرقام بسرعة، ثم قالت :

ـ لست أظن الاستغناء عنها أمرًا هيّنًا يا (نور)، فأرقامها تشير إلى أنها كلها صمامات خاصة بالطوارئ .

قال فى حزم :

ـ ليس لدينا خيار، فمن المحتم أن تتم العملية بأقصى سرعة، فمخاطر فقد حقيبة المكعبات تتزايد باستمرار، وخاصة بعد حادث انفجار جناح المستشفى .

قالت (نشوى) فى تساؤل :

ـ كيف ؟.. لقد أودى الانفجار بحياة (كيرك)، وهو الوحيد ـ غيرنا ـ الذى يعلم بأمر وجود الحقيبة فى الفضاء .

مطّ (نور) شفتيه، وقال :

ـ من يدرى ؟.. ربما كان صاحب الانفجار يعلم كل هذا الآن .. من يدرى ؟

* * *

جفّف الدكتور (محمد حجازى)، كبير الأطباء الشرعيين، كفيه، قبل أن يصافح (نور) فى حرارة، قائلاً :

ـ مرحبًا يا (نور) .. مرحبًا بك يا ولدى .. قل لى : ألن نلتقى أبدًا فى ظروف عادية ؟

أجابه (نور) مبتسمًا :

ـ لست تدرى كم أتمنى هذا يا سيّدى ، ولكن الحياة هى التى تفرض علينا مثل هذه اللقاءات العملية .

جلس الدكتور (حجازى) خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا يا ولدى .. أعلم هذا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ أنت قادم بشأن حادث المستشفى .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ بلى .. هل انتهيت من فحص جثث الضحايا يا سيّدى ؟

أجاب الدكتور (حجازى) :

ـ نعم .. لقد انتهيت منها قبل وصولك بلحظات يا (نور) ، والنتائج التى توصّلت إليها مثيرة للقلق .

شحذت هذه العبارة حواس (نور) ، فسأل :

ـ لماذا يا سيّدى ؟

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ أنت تعلم أن الجناح كان خاليًا تقريبًا ، فى يوم الحادث ، فلم يكن به سوى ممرضة استقبال ، وأخرى لحجرة العناية المركّزة ، وحارس الحجرة ، و (كيرك) الأمريكى .. ولقد لقى الجميع مصرعهم .

وتوقّف لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكن ليس بسبب الانفجار .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هذا ما توقّعت سماعه .. أخبرنى إذن يا سيّدى ، ما الذى صرعهم جميعًا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لقد كانت الجثث محترقة تقريبًا ، ولكن التشريح الداخلى أشار إلى مرور أشعة الليزر من جمجمة الممرضة ، ومؤخرة عنق الحارس ، وقلب ممرضة حجرة العناية المركّزة .

سأله (نور) :

ـ وماذا عن (كيرك) ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لقد مات بتسارع عنيف فى نبضات القلب ، وقد يبدو هذا طبيعيًا ، لولا ذلك الاحتراق ، الذى أصاب أعضاءه الداخلية ، فى دائرة واسعة .

سأله (نور) :

ـ وماذا فى هذا ؟.. ألم يتعرّض جسده للنيران أيضًا ؟

قال الدكتور (حجازى) :

ـ النيران ستحرق الأعضاء الخارجية فقط ، أما الأعضاء الداخلية ، فقد أصابها الاحتراق بسبب آخر ، أظنه نوعًا من الموجات فائقة التردد ، المستخدمة فى الأفران الحرارية .. لقد عرّض أحدهم جسده لموجات كهرومغناطيسية ، فائقة التردد ، أدت إلى تسارع نبضات قلبه ، إلى حد الموت ، وإلى احتراق بعض أعضائه الداخلية ، على هذا النحو الدائرى .

ثم أشار بسبّابته ، مستطردًا :

ـ وليس هذا كل شىء .

سأله (نور) ، وقد بدأ القلق يتسلل إلى أعماقه :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ تحليل بقايا الدماء فى جسده ، يشير إلى أن أحدهم قد حقنه بمنشط شديد القوة ، محظور تداوله طبيًا ، ولست أدرك السبب فى هذا .

قال (نور) فى توتر :

ـ أما أنا فأدرك السبب يا سيدى .. إنه الصراع .

وتطلع إليه بنظرات عصبية ، مضيفًا :

ـ الصراع من أجل القوة .

* * *

استمع الجميع إلى (نور) فى اهتمام ، ثم سألته (سلوى) فى اضطراب :

ـ وما الذى يعنيه كل هذا يا (نور) ؟

أجابها ملوّحًا بكفه :

ـ يعنى أن (كيرك) و (ساندرا) ليسا وحدهما خلف مكعبات الكمبيوتر .. هناك عميل ثالث ، أو رابع ، أو حتى فريق كامل ، يسعى خلف هذه المكعبات ، وهذا العميل هو الذى قتل أفراد المستشفى ، ثم التقى بزميله (كيرك) ، وحقنه بتلك المادة المنشطة القوية ، ليعيده إلى الوعى ، وعرف كل ما يعرفه (كيرك) ، وبعدها قتله ، ونسف الجناح كله .

قالت (نشوى) فى انقباض :

ـ ولماذا يقتله ، مادام يعمل معه ؟

أجابها (رمزى) :

ـ لأن (كيرك) هذا صار ورقة محترقة ، لن تفيد المهمة ، بل ربما تؤدى إلى كشف بعض الأسرار عنها .

رددت :

ـ يا إلهى !.. هل يمكن أن تبلغ القسوة فى القلوب هذا الحد ؟

منحها (نور) نظرة حانية ، وهو يقول :

ـ إنه صراع قوة يا بنيتى ، وفى صراعات القوة ، لا مجال للعواطف .

ثم تابع فى جدية :

ـ والآن هذا يعنى الكثير ، فنحن مازلنا نواجه الخطر ، ولسنا ندرى حجم هذا الخطر ، أو عدد من نواجههم ، لذا فمن الضرورى أن نعمل بسرعة أكبر .

أجابه (محمود) :

ـ لقد انتهينا تقريبًا من تعديل أحد أجهزة الكمبيوتر ، حتى يمكننا نسخ المكعبات ، فور عودتك أنت و (رمزى) بها بإذن الله ، أما بالنسبة للصمامات الناقصة ، فيمكننا صنع بدائل لها ، باستخدام بعض الأجهزة المتاحة ، ولكن هذه البدائل ستكون أكبر حجمًا ، وستحتل مساحة من كابينة القيادة .

قال (نور) :

ـ لا بأس .. ستكفينا الكابينة ، أنا و (رمزى) .. المهم متى يمكنكم الانتهاء من صناعتها .

أجابته (سلوى) :

ـ صباح الغد على الأكثر .

تنهد فى ارتياح ، وقال :

ـ عظيم .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ هذا يعنى أننا نستطيع بدء رحلتنا ظهر الغد .

قالت (سلوى) ، وقلبها يستشعر الخطر :

ـ بإذن الله .

وأضافت فى سرعة :

ـ ولكنكما ستحملان معكما جهاز اتصال قوى ، يمكننا متابعتكما بواسطته ، كما يمكنكما أيضًا الاتصال بـ (هاشم) ، فى مرصد (حلوان) ، إذا ما احتجتما إلى توجيهاته .

ردد (نور) مرة أخرى :

ـ عظيم .

ثم لوّح بكفيه ، متابعًا :

ـ والآن فلنبدأ العمل يا رفاق ، ولنضع أقدامنا على أوّل خطوة نحو الأمل .. الأمل الفيروزى ..

* * *

راجع (ميرفى) ما تبقى من أسلحته فى هدوء ، وابتسم وهو يقول لنفسه ، فى ثقة واضحة .

ـ عظيم .. إنك تمتلك كل ما يكفى للفوز يا (ميرفى) .

والتقط جهاز الاتصال الدقيق ، وضغط أحد أزراره ، وهو يقول :

ـ هنا (مينوس) ... الخطة تسير على ما يرام .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت النحيل ، وهو يقول فى لهفة :

ـ هل عرفت موضع المكعبات ؟

أجابه (ميرفى) :

ـ نعم .. عرفت موضعها ، ولكن الوصول إليها لن يكون هيّنًا .

سأله النحيل فى قلق :

ـ لماذا ؟

أجابه فى هدوء :

ـ لأنها ليست على سطح الأرض .

قال النحيل فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟.. هل يخفونها فى قرار البحر ؟

أجابه (ميرفى) ، مبتسمًا فى سخرية :

ـ بل فى الفضاء .. بين الأرض والقمر .

ردد النحيل فى دهشة :

ـ فى الفضاء ؟!.. هذا يعنى أنه لن يحصل عليها أحد .

قال (ميرفى) ، وهو يسترخى فى مقعده :

ـ هذا ما يبدو للوهلة الأولى ، ولكن الواقع هو أن المصريين يمتلكون وسيلة لاستعادتها ، وربما كانوا وحدهم ، فى العالم أجمع ، الذين يمتلكون وسيلة لهذا .

سأله النحيل فى اضطراب :

ـ أية وسيلة هذه ؟

أجابه (ميرفى) فى تراخ :

ـ سفينة فضائية ، هبطت من سجن القمر ، بعد رحيل الغزاة ..

لقد رأيتها بنفسى هناك .. بالقرب من تلك القلعة ، التى تحتل موقعًا فريدًا ، عند ساحل (الإسكندرية) .

سأله النحيل فى اهتمام :

ـ هل سمعتهم يقولون هذا ؟

هزَّ (ميرفى) رأسه ، وأرخى جفنيه فى تكاسل ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ كلًا ، ولكننى درست الأمر جيدًا ، ولم أجد أمامهم سوى هذا .

زمجر النحيل ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ لست أميل لتلك الخطوات ، التى تتم استنادًا إلى بعض الاستنتاجات الشخصية .

ابتسم (ميرفى) ساخرًا ، وقال :

ـ اطمئن أيها القائد .. إننى أكثر حرصًا منك على نجاح العملية .

ثم أردف فى خبث :

ـ إنه مليار دولار .. أليس كذلك ؟

مرّت لحظة صامتة ، قبل أن يقول النحيل :

ـ فليكن .. المهم أن تمنعهم من استخدام هذه السفينة الفضائية ، بأية وسيلة ممكنة .. انسف السفينة .. اقتلهم جميعًا .. المهم أن تمنع حصولهم على تلك الحقيبة .

اتسعت ابتسامة (ميرفى) أكثر ، وهو يقول :

ـ خطأ أيها القائد .. خطأ .

قال النحيل فى دهشة :

ـ خطأ ؟!

أجابه (ميرفى) ، بهدوئه العجيب :

ـ نعم يا سيّدى .. من الخطأ أن نحاول منعهم .

هتف النحيل فى غضب :

ـ إلى أى جانب تعمل يا (ميرفى) ؟

أجابه فى سرعة :

ـ إلى الجانب الذى سيمنحنى مليار دولار ، عند نجاح العملية يا سيّدى .. وأنا أسعى لنجاحها بكل جهدى .

سأله النحيل فى عصبية :

ـ ما الذى ستفعله لنجاحها إذن ؟

أجابه (ميرفى) فى هدوء :

ـ سأساعدهم .

صاح النحيل في ثورة :

ـ تساعدهم .. أنت خائن يا (ميرفى) .. خائن .

كاد (ميرفى) ينفجر ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ مهلًا يا سيّدى .. استمع إلى خطتى أولًا .

صاح به محنقًا :

ـ أية خطة ؟

أجابه (ميرفى) :

ـ إننى سأساعدهم فى الوصول إلى حقيبة المكعبات ، واستعادتها ، ولكننى لن أساعدهم أبدًا ، فى العودة بها إلى (القاهرة) .

ران الصمت لحظة ، ثم قال النحيل ، عبر جهاز الاتصال :

ـ يلوح لى أننى قد بدأت أفهم خطتك .

قال (ميرفى) ، وابتسامته الواسعة تملأ وجهه :

- إنها خطة بسيطة للغاية يا سيدى .. سيحصلون على الحقيبة ، وبعدها أستولى أنا على كل شىء ، وبدلاً من عودتهم إلى (القاهرة) ، ستهبط سفينة الفضاء الوحيدة ، فى عصرنا الجديد ، فى قلب (نيويورك) ، وبداخلها حقيبة المكعبات .

هتف النحيل :

- رائع يا (ميرفى) .. رائع .

ابتسم (ميرفى) فى زهو ، قائلاً :

- ألا أستحق المليار دولار عن جدارة ؟

هتف النحيل فى حماس :

- بالتأكيد يا (ميرفى) .. بالتأكيد .. سأنتظر رسالتك القادمة فى لهفة .

غمغم (ميرفى) :

- انتظرها يا سيدى ، فربما تأتى من الفضاء .

وأنهى الاتصال ، قبل أن يستطرد بابتسامة شملت وجهه كله :

- أو من مقر قيادة الأرض الجديد .

وامتلأت ابتسامته بالزهو والأمل والثقة ، مردفًا :

- مقر (ميرفى) .

واتسعت ابتسامته أكثر .

* * *

٥ - المحتال ..

استقبل الفلكى (هاشم) الرائد (نور) ، فى مرصد (حلوان) ، بابتسامة عريضة ، وهو يقول فى ترحاب :

- مرحبًا يا سيادة الرائد .. كل شىء هنا يسير على ما يرام .. كيف حالك وحال فريقك ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يلقى نظرة على المنظار الكبير :

- فى خير حال .. قل لى : هل تغيرت إحداثيات شمسنا الفيروزية ؟

قال (هاشم) فى حماس :

- إنها تتغير باستمرار ، ولكن المنظار الفلكى يتابعها طيلة الوقت ، ويحدد إحداثياتها الجديدة ، فى كل لحظة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- عظيم .

واتجه إلى المنظار ، وراح يفحصه فى اهتمام بالغ ، فقال (هاشم) :

- إنه منظار معدّل ، تم تركيبه عام ألفين ، وهو مزوّد بباحث إليكترونى ، وكمبيوتر متابعة خاص ، وشاشة عرض .

قال (نور) ، وهو يواصل فحصه للمنظار :

- إذن فمن غير الممكن أن يفقد الحقيبة .

هتف (هاشم) :

- مستحيل !

فقال (هاشم) :

ـ إنه منظار معدّل ، تم تركيبه عام ألفين ، وهو مزوّد بباحث إليكترونى ...

ثم أضاف ، وهو يربت على المنظار فى حرارة :

ـ إنه واحد من جيل المناظير الذكية ، كما أطلقوا عليه فى أيامها .

ابتسم (نور) مرة ثانية ، وقال :

ـ هذا أمر يدعو للارتياح .

وافقه (هاشم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ لقد وصلنى جهاز الاتصال فى المساء .. ومن هنا يمكننى الاتصال بمقركم ، فى المخابرات العلمية ، وبسفينة الفضاء ، فى الفضاء الخارجى .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أين هو جهاز الاتصال ؟

تطلع إليه الرجل فى دهشة ، وقال :

ـ أين هو ؟!.. ولكنك تستند إليه بالفعل أيها الرائد .

تراجع (نور) ، وألقى نظرة على الجهاز ، ثم قال :

ـ آه .. كيف لم أنتبه إليه ؟

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول فى شك :

ـ عجبًا !!.. يقولون : إنك شديد الملاحظة

قال (نور) فى سخرية :

ـ ليس فى كل وقت .

ضربه (هاشم) على ساعده ، قائلاً :

ـ ولكننى فخور بمعرفتك .

قال (نور) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ حقًا ؟!

تراجع (هاشم)، وانعقد حاجباه أكثر، وهو يقول :

ـ ألم تؤلمك هذه الضربة ؟

هزّ (نور) كتفيه، وقال :

ـ ولماذا تؤلمنى ؟.. إنها لم تكن قوية إلى هذا الحد .

ازداد انعقاد حاجبى (هاشم)، وهو يقول فى توتر :

ـ على الرغم من إصابتك .

توقّف (نور) لحظة، ثم قال فى حذر :

ـ أية إصابة ؟

قال (هاشم)، وهو يتراجع فى حدة :

ـ أية إصابة ؟!.. إنك لست الرائد (نور) .

خُيّل إليه أن (نور) الواقف أمامه يهتز فى شدة، كما لو كان صورة منعكسة على سطح الماء، وهو يخرج مسدسًا ليزريًا، يصوّبه نحوه، قبل أن يتحوّل إلى شاب وسيم، عذب الابتسامة، يقول فى هدوء ساخر :

ـ صدقت يا رجل .. إننى لست (نور) ..

وارتجف جسد (هاشم) فى رعب ..

* * *

لم تكد الشمس تشرق، فى الصباح التالى، حتى قال (محمود)، فى إرهاق وتعب واضحين :

ـ لقد انتهينا يا (نور) .

تطلّع (نور) إلى الصناديق الثلاثة الكبيرة، التى تخرج منها عدة أسلاك، وقال فى دهشة :

ـ كل هذا بديل عن ثلاثة صمامات .

قالت (سلوى) :

ـ لاتنس أن كل صمام منها يتكوّن من عدد من الدوائر المضغوطة، ولسنا نمتلك ـ فى الوقت الحالى ـ سوى بعض الدوائر المطبوعة على السليكون، وأجهزة (الترانزيستور) العادية(*)، وهذه الأشياء تحتاج إلى مساحة أكبر بكثير، من الدوائر المضغوطة العادية .

ابتسم (نور)، وهو يقول :

ـ المهم أن تؤدى عملها .

أجابه (محمود) :

ـ ستؤديه على خير ما يرام يا (نور) .. اطمئن .

تعاون الجميع على نقل الصناديق الثلاثة إلى سيارة (نور)، ثم خيم على المكان صمت ثقيل، قطعه (نور) قائلاً :

ـ حسنًا .. أراكم على خير حال يا رفاق .

انسالت الدموع من عينى (سلوى)، وهى تقول :

ـ احترس كثيرًا فى رحلتك يا (نور) .

منحها ابتسامة مشجعة، وهو يقول :

ـ اطمئنى .

تصافح الجميع فى صمت وحرارة، وغمغمت (نشوى)، وهى تودّع (رمزى) :

ـ عد إلىّ .

(*) الترانزيستور : جهاز إلكترونى، مصنوع من مواد شبه موصلة، متصلة ببعضها البعض، وهى غالبًا من السليكون والجرمانيوم، مضافًا إليها بعض الشوائب، وتم اختراعه ـ للمرة الأولى ـ فى معامل (بل) للهاتف، عام ١٩٤٨م.

قال فى حنان :

ـ سأبذل أقصى جهدى لأفعل ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ثم اعتدل (نور) ، ورسم على شفتيه ابتسامة مرحة ، وهو يقول :

ـ إلى اللقاء يا رفاق .. واصلوا عملكم جيدًا ، ولا تتوقفوا قبل إنجاز الناسخ .

أجابه (محمود) ، وهو يلوّح بيده :

ـ سنفعل بإذن الله .. اطمئن .

انطلق مع (رمزى) بسيارته ، وهو يلتقط سماعة جهاز الاتصال ، قائلاً :

ـ من (نور) إلى (هاشم) .. لقد بدأت الرحلة .. أنا و (رمزى) فى طريقنا إلى (الإسكندرية) .. سننطلق فى الثانية عشرة تمامًا .. راقب الشمس الفيروزية بمنتهى الدقة ، فسنعتمد عليك لإرشادنا إليها فى الفضاء .

أجابه صوت (هاشم) ، وهو يقول فى حماس :

ـ على بركة الله أيها الرائد .. انطلق مطمئنًا .. سأقوم بعملى على ما يرام .

أنهى (نور) الاتصال ، وقد اطمأن إلى أن (هاشم) يقوم بعمله على أكمل وجه ، وواصل رحلته إلى (الإسكندرية) ، حيث يستقل سفينة الفضاء ، وينطلق إلى حيث الأمل ..

وإلى حيث المصير ..

المصير المجهول ..

* * *

تطلع (هاشم) فى ذهول إلى ذلك الجهاز الصغير ، الذى ثبته (ميرفى) ، بواسطة عدد من الأسلاك ، إلى جهاز الاتصال ، وهتف مشدوهًا :

ـ ولكنه صوتى .. لقد استخدم ذلك الجهاز صوتى بالضبط .

التفت إليه (ميرفى) ، وهو يبتسم فى سخرية ، وقال :

ـ بالضبط أيها الذكى .. لقد التقط هذا الجهاز الصغير صوتك ، عندما تحدثنا إلى بعضنا البعض ، وأنت تظننى ذلك الرائد (نور) ، وعمل على تحليل كل حرف من حروفه ، وخزّنه فى ذاكرته الضخمة ، بحيث صار قادرًا على التحدُّث بصوتك وأسلوبك ، وفقًا لبرنامج خاص ، يمكنه التعامل معه بذكاء صناعى فريد .

قال (هاشم) فى قلق :

ـ إذن فالرائد (نور) يتصوّر الآن أننى أنا الذى تحدث إليه .

أجابه (ميرفى) :

ـ تمامًا .. وهو مطمئن الآن إلى أنك سترشده إلى موضع الحقيبة ، فى حين سيتحدث إلى الجهاز طيلة الوقت .

قال (هاشم) مذعورًا :

ـ هل ستضلله ؟!.. هل ستدفعه إلى الضياع ، فى الفضاء اللانهائى .

قهقه (ميرفى) ضاحكًا ، وقال :

ـ لست غبيًا لأفعل هذا .

سأله (هاشم) :

ـ ماذا ستفعل إذن ؟

مال (ميرفى) نحوه ، وقال فى سخرية :

- لن أخبرك .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- يكفى أن تعلم أن جهازى هذا سيتلقى إشارات المنظار ، ويرسل الإحداثيات الجديدة إلى (نور) بصوتك ، كلما طلب (نور) معرفة هذه الإحداثيات ، وسيعاونه بقدر الإمكان ، حتى يلتقط الحقيبة ، وبعدها ..

فرقع سبابته وإبهامه ، وابتسم فى خبث ، فامتقع وجه (هاشم) ، وتمتم :

- يالك من وغد !

ثم عضّ شفته ندمًا ، وهو يستطرد فى مرارة :

- لو لم يخدعنى مظهرك ، وأظنك الرائد (نور) ..

قاطعه (ميرفى) ، وهو يخرج من جيبه جهازًا صغيرًا :

- كان من المستحيل ألا يخدعك مظهرى ، فهذا الجهاز يفعل المعجزات .

قال (هاشم) فى حدة :

- لماذا ؟.. أهو مصباح (علاء الدين) ؟.(*) .

ابتسم (ميرفى) ، وقال :

- تروق لى دعابتك ، ولكنه ليس مصباح (علاء الدين) بالتأكيد ، وإنما آلة عرض هولوجرافى ، تم تطويرها ؛ لتحيط جسم حاملها بصورة هولوجرافية كثيفة ، للشخص الذى يود

(*) (علاء الدين) والمصباح السحرى : قصة من التراث الشعبى العربى القديم ، تدور حول صبى صغير ، عثر على مصباح قديم ، ويدعك المصباح ، يخرج منه جنىّ مارد !!.. يلبّى كل طلبات الصبى (علاء الدين) ، مهما كانت عجيبة ، أو منافية للمنطق .

انتحال شخصيته ، كما يعمل جزء منها على تغيير نبرات الصوت ، لتوافق نبرات صوت الشخص المنشود .

واتسعت ابتسامته ، مستطردًا :

- إننا نطلق عليها اسم (ساحر التنكر الصغير) .. إنها تستحقه .. أليس كذلك ؟

قال (هاشم) فى حدة :

- حسنًا .. لقد راقت لى محاضرتك السخيفة ، والآن ارحل واترك هذا المرصد وشأنه .

رفع (ميرفى) حاجبيه ، وقال :

- سأرحل يا صديقى .. سأرحل بالطبع ، فمن الضرورى أن ألحق بـ (نور) هذا وزميله ، قبل أن تنطلق بهما سفينة الفضاء إلى الهدف .

قال (هاشم) فى توتر بالغ :

- هل ستحاول منعهما من ذلك ؟

ضحك (ميرفى) مرة أخرى ، وقال :

- يبدو أنك بطىء الفهم يا رجل .. قلت لك إننى لن أفعل أى شىء لتعطيلهما .

سأله (هاشم) فى انفعال .

- لماذا تريد اللحاق بهما إذن ؟

ابتسم (ميرفى) ابتسامته العذبة الأنيقة ، وهو يقول :

- لدى أسبابى .

ثم استلّ مسدسه الليزرى ، مستطردًا :

- وقبل أن أرحل ، أود أن أنهى عملى هنا .

اتسعت عينا (هاشم) فى ذعر ، عندمــا رأى مسدس (ميرفى) مصوبًا إلى رأسه ، وقال فى هلع :

ـ ماذا ستفعل ؟

أجابه (ميرفى) فى هدوء :

ـ ألم أقل لك : إنك بطىء الفهم يا رجل ؟ .. إننى أنهى عملى هنا .

أطلق (هاشم) صرخة هائلة ، وهو يقول :

ـ لا .. لا تقتلنى .

ولكن ابتسامة (ميرفى) ظلت ثابتة ، وهو يضغط زناد مسدسه ، ويطلق أشعته نحو رأس (هاشم) ..

وبلا تردد ..

* * *

كانت أرقام ساعة (نور) الإليكترونية ، تشير إلى الحادية عشرة والنصف ظهرًا ، عندما استقر هو خلف أدوات قيادة سفينة الفضاء ، واتصل بـ (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال ، قائلًا :

ـ كل شىء على ما يرام ، وسيبدأ العد التنازلى للرحلة بعد قليل .

أتاه صوت (سلوى) ، مفعمًا بقلقها وتوترها ، وهى تقول :

ـ صحبتك السلامة يا (نور) .. قلوبنا معك ، ومع (رمزى) .

ازدرد لعابه ، قبل أن يدير مؤشر جهاز الاتصال ، إلى موجة (هاشم) ، ويقول :

ـ سيبدأ العد التنازلى يا (هاشم) .. هل كل شىء عندك على ما يرام .

استقبل جهاز (ميرفى) تلك الرسالة ، وحلل كلماتها فى

ولكن ابتسامة (ميرفى) ظلت ثابتة ، وهو يضغط زناد مسدسه ، ويطلق أشعته نحو رأس (هاشم)

سرعة ، ثم أجاب بصوت يماثل صوت (هاشم) تمامًا ، وبلهجة لاتختلف أبدًا عن لهجته :

ـ نعم أيها الرائد .. كل شىء على مايرام ، والحقيبة تسير فى مسارها السابق بانتظام .

قال (نور) فى ارتياح :

ـ عظيم .. سيبدأ العد التنازلى بعد لحظات .

انتظر فى صمت وتأهب ، ثم أغلقت أبواب السفينة فى إحكام ، وبدأ العد التنازلى على نحو منتظم ، و (نور) و (رمزى) يتابعانه فى توتر ملحوظ ، حتى بلغ العد لحظاته الأخيرة ، وارتفع صوت المراقب الأرضى ، وهو يقول :

ـ أربعة .. ثلاثة .. إثنان .. واحد .. صفر .

وضغط (نور) أزرار الانطلاق ..

واشتعلت محركات السفينة ..

وانطلقت ..

انطلقت بسرعتها المتصاعدة ، لتشق الغلاف الجوى الأرضى ، وتعبره إلى الفضاء الخارجى ..

وخلال رحلتها إلى الفضاء ، كان أحد رجال الأمن ، الذين تابعوا الإطلاق ، يقتحم حجرة مدير الأمن ، هاتفًا :

ـ سيدى .. لقد لقى أحد الزملاء مصرعه .

هبّ مدير الأمن من مقعده ، هاتفًا :

ـ كيف ؟.. هل قتله اشتعال وقود السفينة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول فى انفعال :

ـ كلا يا سيدى .. لقد عثرنا عليه صريعًا ، على بُعد عدة

أمتار من المنطقة الآمنة ، ويبدو أن أحدهم قد باغته بمسدس ليزرى ، وأطلق منه الأشعة على رأسه .

قال مدير الأمن فى ذعر :

ـ بمسدس ليزرى ؟!.. من يمكنه أن يفعل هذا ؟.. ولماذا ؟

أجاب الرجل :

ـ لسنا نعلم من يمكنه هذا يا سيدى ، أما عن الهدف ، فهناك ما يثير تساؤلنا فى الأمر .

سأله فى توتر :

ـ ما هو هذا ، الذى يثير تساؤلكم ؟

أجابه الرجل ، فى توتر بالغ :

ـ الثياب يا سيدى .. لقد قتل أحدهم زميلنا ، واستولى على زيه الرسمى .

اتسعت عينا مدير الأمن فى ذعر :

ـ استولى على الزى الرسمى ؟ ولكن هذا قد يعنى أنه يسعى لبلوغ السفينة ، قبل أن تبدأ رحلتها ، دون أن يعترضه أحد ، و ..

اتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

ـ ويتلف أجهزتها .

وهوت قلوب الجميع فى رعب ..

إن رحلة (نور) قد لاتكتمل ..

قد لاتكتمل أبدًا .

* * *

٦ـ الرحلة ..

أطلق (رمزى) زفرة حارة، من أعماق قلبه، وهو يتطلع إلى أجهزة السفينة، قائلا فى ارتياح:

ـ لقد عبرنا الغلاف الجوى.

ابتسم (نور)، وهو يقول:

ـ لم تعد تلك المرحلة شديدة الخطورة، كما كانت فى الماضى ياصديقى، فالسفن الفضائية الحديثة، تحوى أجهزة حساسة، لمعادلة الضغط الجوى داخلها، وإلغاء تأثير العجلة التناقصية المتسارعة للجاذبية الأرضية، مع الارتفاع بهذه السرعة الفائقة، بحيث لايشعر ركاب السفينة بأية أعراض عنيفة، ولولا هذا لما نجحت السياحة الفضائية، التى انتشرت فى شدة، مع بداية القرن الحادى والعشرين.

قال (رمزى):

ـ أعلم هذا يا(نور) .. ولكن حتى السفن السياحية الفضائية الفاخرة، كانت تحتاج دائما إلى طاقم متابعة أرضى ضخم لتفادى أية أضرار غير متوقعة. أما نحن، فنسافر إلى الفضاء وحدنا، دون مراقبة أرضية تقريبا، وكل مالدينا جهاز اتصال متطور، تحمل مثله أية سفينة صيد عادية.

هز (نور) كتفيه، وقال:

ـ فلنحاول استخدام مالدينا، على أكمل وجه ياصديقى.

ثم ضغط زر جهاز الاتصال، وقال:

ـ من الفضاء إلى الأرض .. لقد اجتزنا المرحلة الأولى بنجاح .. أمازلت ترصد الاحداثيات يا (هاشم).

أتاه صوت (هاشم)، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى، وهو يقول:

ـ نعم أيها الرائد .. حدد موقعك، وسأخبرك كم تبعد عن الحقيبة.

قرأ (نور) البيانات، على شاشة القيادة، ونقل إليه إحداثيات موقعه، فأجاب:

ـ أنت على مسيرة ساعة واحدة منها أيها الرائد .. انحرف بزاوية ست درجات، فى اتجاه الشمس، وستبلغ موقعها بعد ثلاث وخمسين دقيقة، وتسع عشرة ثانية بالتحديد.

عدّل (نور) مساره، تبعًا للتعليمات، فى حين قال (رمزى) فى خفوت:

ـ عجبًا !!..

سأله (نور):

ـ ماذا هناك ؟

تردد (رمزى) لحظة، ثم قال:

ـ أسلوب (هاشم) هذا، إنه ..

بدا وكأنه سيكمل العبارة، إلا أنه بترها على نحو حاد، وانعقد حاجباه، وهو يفكر فى عمق، فسأله (نور) فى قلق:

ـ ماذا فى أسلوبه ؟.. أتساورك الشكوك فى أمر ما ؟.. هل خاننا (هاشم)، أو أنه ينقل إلينا معلومات خاطئة، تحت تهديد شخص ما ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا، وقال:

ـ لا هذا ولا ذاك يا (نور) .. إن صوته وأسلوبه لا يوحيان أبدًا بأنه واقع تحت تأثير أية تهديدات .. بل إنهما لا يحويان أية انفعالات، وهذا ما يثير دهشتى.

سأله (نور)، وقد انتبهت حواسه كلها لهذا الحديث:

ـ ماذا تعنى بالضبط؟

صمت (رمزى) لحظة، وكأنه يفكر فى الأمر، ثم أجاب:

ـ كل ما تعلمته فى كلية الطب، وعلى يد أساتذتى فى الطب النفسى، وكل خبراتى السابقة فى هذا المجال، تقول مجتمعة: إن أى إنسان، مهما بلغ جمود مشاعره، فإنه حينما يتحدث، لابد أن يحمل حديثه انفعالاً ما .. اهتمام .. قلق .. ترقب .. سخرية .. غضب .. أى انفعال .. ولكن صوت (هاشم) يبدو رصينًا وجافًا للغاية، بلا أية انفعالات على الإطلاق.

قال (نور):

ـ ربما كان من ذلك النوع، الذى ينسى كل مشاعره وانفعالاته، عندما يبدأ العمل.

مطّ (رمزى) شفتيه، وقال:

ـ ربما.

وصمت لحظات أخرى مفكرًا، قبل أن يضيف:

ـ يبدو أن خبراء علم النفس يصابون عادة بهوس البحث والتحليل.

ابتسم (نور)، وهو يقول: مداعبًا:

ـ يبدو هذا.

ثم ضغط جهاز الاتصال، وقال:

ـ من الفضاء إلى الأرض .. كل شىء يسير على ما يرام، ونحن نتجه نحو الهدف بسرعة مناسبة.

وانتهى الاتصال، وهو يبتسم ..

وواصل رحلته ..

* * *

بدا صوت مدير أمن المخابرات العلمية شديد التوتر والارتباك والقلق، وهو يقول لـ(سلوى)، عبر جهاز اتصال خاص:

ـ لدى من الأسباب ما يدعو إلى بحث فكرة إنهاء الرحلة، والإسراع بعودة سفينة الفضاء إلى الأرض.

انتقل قلقه وتوتره إليها، وهى تسأله:

ـ وما هذه الأسباب بالضبط؟

صمت الرجل لحظات، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه، قبل أن يقول:

ـ إننى أشك فى وجود قنبلة، داخل السفينة.

هوت كلمته على رءوس (سلوى) و(محمود) و(نشوى) كالصاعقة، وقالت (نشوى) فى ارتياع:

ـ قنبلة ؟!.. ومن وضع هذه القنبلة؟

أجابها الرجل، وارتباكه يتصاعد:

ـ إنه مجرّد استنتاج، فقد لقى أحد رجالنا مصرعه، واستولى قاتله على زيه الرسمى، والسبب الوحيد، الذى يدعو القاتل إلى هذا الفعل، هو حتمًا محاولة التسلل إلى السفينة، ونسف شىء ما فيها.

قال (محمود) بصوت مرتجف :
ـ أو تخريبها .
أجابه الرجل :
ـ لقد درسنا هذا الاحتمال ، ووجدنا أن الإطلاق قد تم فى سلام ، وكل شىء داخل السفينة يسير على مايرام .. التفسير الوحيد المتبقى إذن ، هو أن الشخص الذى تسلل إلى السفينة ، قد دس داخلها قنبلة زمنية موقوتة .
رددت (سلوى) فى هلع :
ـ قنبلة زمنية ؟!
ثم أردفت فى توتر بالغ :
ـ حسنا .. سأجرى اتصالا مع (نور) ، وأخبره بالأمر .
أسرعت إلى جهاز الاتصال الفضائى ، فسألها (محمود) فى توتر :
ـ أتظنين أنه من الممكن أن يستجيب (نور) ، ويلغى رحلته ؟
أجابته فى توتر :
ـ كلا .
ثم ضغطت زر الاتصال ، مستطردة :
ـ ولكننا سنحاول بقدر استطاعتنا ..

★ ★ ★

راجع (نور) عدادات وأجهزة القيادة ، فى سفينة الفضاء ، قبل أن يقول لـ(رمزى) فى ارتياح :
ـ مازال كل شىء يسير على مايرام ، وسنبلغ موضع

الحقيبة ، بعد أربع وأربعين دقيقة وست ثوان بالتحديد .
قال (رمزى) ، وقد بدأت أعصابه تهدأ ، مع سير الرحلة المنتظم :
ـ رائع .. هذا يعنى أننا سنعود إلى الوطن ، بعد أقل من ساعتين بإذن الله .
لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تقول فى توتر ملحوظ :
ـ (نور) .. هناك معلومات جديدة ، تثير القلق .
عقد (رمزى) حاجبيه فى شدة ، وعاودته عصبيته ، وهو يستمع إلى (نور) ، الذى أجاب زوجته فى قلق :
ـ أية معلومات ؟
قالت فى انفعال :
ـ إننا نشك فى وجود قنبلة ، داخل سفينة الفضاء .. قنبلة زمنية .
انتفض جسد (رمزى) ، وانقبضت أصابع (نور) فى شدة ، وهو يقول :
ـ أى قول هذا ؟
شرحت له كل ما نقله إليها مدير الأمن ، واستمع إليها فى انتباه شديد ، ثم قال فى حزم :
ـ لايمكننى إلغاء الرحلة ، بسبب بعض الشكوك ، فنحن لانملك من الوقود ، مايمكننا من الانطلاق فى رحلة أخرى ، وإما أن نسترجع الحقيبة الآن ، أو نخسرها تماما .
قالت فى عصبية :

- ولكنها قنبلة يا (نور) .. قنبلة قد تنهى الرحلة تمامًا ، فنفقد الحقيبة ، ونفقدك أنت و (رمزى) أيضًا .

قال فى صرامة :

- إنه مجرد استنتاج ، ولست مستعدًا لإفساد كل شىء ، بسبب استنتاج ، قد لايكون صحيحًا أبدًا ، ثم أن رجال الأمن ، الذين صعدوا إلى السفينة ، لم يتجولوا داخلها طويلًا ، فكل حجراتها كانت مغلقة تمامًا ، فيما عدا كابينة القيادة ، وكنت أجلس فيها مع (رمزى) طيلة الوقت ، وحجرة معادلة الضغط ، وهى لاتحوى سوى ثياب الفضاء ، وأجهزة التوجيه و ...

بتر عبارته بغتة ، ثم قال فى لهجة متوترة :

- نعم .. أعتقد أن هذا هو الهدف المثالى .

وقال لـ(سلوى) ، عبر جهاز الاتصال :

- حسنًا يا (سلوى) .. سأفحص الأمر ، وأتصل بك ثانية .

أنهى الاتصال ، وهو يضغط زر الطيران الآلى ، وينهض من مقعده ، فسأله (رمزى) فى توتر بالغ :

- هل يمكن أن يكون هذا صحيحًا ؟

قال (نور) فى اقتضاب :

- سنرى .

غادر كابينة القيادة ، وهو يستخدم حذاءه المغناطيسى ، للتغلب على تأثير انعدام الوزن ، واتجه إلى حجرة معادلة الضغط ، ووقف يتطلع إليها فى اهتمام ..

كانت حجرة خاوية ، إلا من ثلاث خزائن ، تحوى ثياب الفضاء ، ولوحة أزرار التحكم ..

وعلى الرغم من فراغ الحجرة ، إلا أنها بدت لـ(نور) أصغر مما ينبغى ، ففحصها ببصره مرة أخرى ، ثم راح يتحسس جدرانها فى اهتمام ، ولكنه لم يجد مايثير القلق ، فتراجع يلقى نظرة أخيرة على الحجرة ، ثم اتجه إلى لوحة الأزرار ، وتأكد من أن أحدًا لم يعبث بها ..

وعاد (نور) أدراجه ، إلى كابينة القيادة ، وهو يفحص جدران الممر ، الذى يقود إليها ، دون أن يعثر على أية آثار للعبث ، فجلس إلى مقعد القيادة مرة أخرى ، وأجرى اتصالًا مع (سلوى) ، وقال :

- هنا (نور) .. لقد فحصت كل شىء ، ولا يوجد أدنى أثر للقنبلة المزعومة .

قالت (سلوى) فى توتر :

- قد تكون صغيرة الحجم ، أو ..

قاطعها فى حزم :

- لقد فحصت كل شىء جيدًا .. وكل شىء يسير على مايرام ، وسنبلغ الحقيبة بعد سبع وثلاثين دقيقة ، وأربع وعشرين ثانية بالتحديد .. انتهى الاتصال .

خفق قلب (سلوى) فى عنف ، عندما أنهى (نور) الاتصال ، وهبط عليها صمت ثقيل ، جعل صوت (محمود) ينخفض ، وهو يقول :

- لقد رفض .. أليس كذلك ؟

أجابته بإيماءة من رأسها ، فتنهدت (نشوى) ، ولوحت بكفها فى مرارة ، قائلة :

ـ كنت أعلم أنه سيرفض .
غمغمت (سلوى) :
ـ أنت تعلمين كم هو عنيد .
تنحنح (محمود) ، وقال :
ـ ولكنه على حق .
هتفت (سلوى) مستنكرة :
ـ على حق ؟!
أجابها :
ـ بالطبع .. إنه يعلم مثلنا أن لديه فرصة واحدة ، للقيام بمثل هذه الرحلة ، وأن وقود السفينة لن يكفى للقيام برحلة أخرى ، لو أنه عاد إلى الأرض ، قبل إتمام مهمته .
قالت (نشوى) فى حدة :
ـ وماذا لو كانت هناك قنبلة بالفعل ؟
قال (محمود) :
ـ وماذا لو لم يكن هناك شىء ؟! هذا هو ماسيفكر فيه (نور) بالتحديد .. إنه سيدرس الأمر ، وسيجد أن احتمال وجود قنبلة ما ، يتساوى مع احتمال عدم وجودها ، وهو لن يفسد عمله ، بسبب احتمال لايتجاوز الخمسين فى المائة .
صمتت (سلوى) ، وهى تعض شفتها السفلى فى ألم ..
إنها تعلم أن (محمود) على حق ..
هذا ماسيفكر فيه (نور) حتمًا ..
وماسيفعله ..
ولم يكن أمامها سوى الاستسلام ..

والتشبث بالأمل ..
آخر أمل ..

* * *

طبول هائلة ، راحت تدق فى رأس (أكرم) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ..
طبول جعلته يتأوه ، ويغمغم فى ألم :
ـ أين أنا ؟
شعر بيد حانية دافئة ، تمسح جبينه ، وسمع صوت (مشيرة) ، وهى تقول فى حنان :
ـ أنت بخير حال يا (أكرم) .. لقد نجوت بفضل الله (سبحانه وتعالى) .
فتح عينيه فى صعوبة ، وتطلع إليها لحظة ، ثم ابتسم مغمغمًا :
ـ أهو أنت .. لاريب أننى قد انتقلت إلى الجنة .
احتضنت رأسه فى حنان ، وهى تقول :
ـ بل أنت على الأرض .. لحسن حظى .
تنهد فى ارتياح ، وأسبل جفنيه ، قائلًا :
ـ ما أسعدنى بسماع هذا !
احتواهما الصمت لحظات ، ثم سألها فجأة فى اهتمام :
ـ أين (نور) ورفاقه ؟
تطلعت إلى ساعتها ، وقالت :
ـ (نور) الآن فى الفضاء .
هب جالسًا ، وهو يهتف :

- فى الفضاء ؟!

هاجمه الصداع فى شراسة ، مع تلك الحركة المباغتة ، فعاد يستلقى فى فراشه ، وهو يغمض عينيه فى قوة ، قائلاً :

- كيف ذهب إلى الفضاء ؟

أجابته ، وهى تمسح جبهته فى حنان :

- لقد استخدم تلك السفينة الفضائية ، التى هبط بها المجرمون ، من سجن القمر(*) .

ابتسم ابتسامة واهنة ، وهو يقول :

- ياله من رجل !

ثم فتح عينيه ، وتطلع إلى (مشيرة) ، مستطردًا :

- أتعلمين أنه يثير إعجابى فى شدة ، على الرغم من خلافاتنا المستمرة .

ابتسمت قائلة :

- أعلم هذا ، فأنا أيضًا أختلف معه كثيرًا ، ولكننى أحمل له كل الاحترام والتقدير .

داعب أصابعها وهو يبتسم ، ثم قال :

- ولكن أليس من العجيب أن يصارحك بأمر رحلته الفضائية هذه ؟

قالت فى صوت هادئ :

- كلا .. فهذه الرحلة لم تكن سرًا .. لقد شاهد نصف سكان (الاسكندرية) سفينة الفضاء ، وهى تنطلق ، ولكنهم لايعلمون الغرض من الرحلة بالطبع .

نهض فى بطء هذه المرة ، وأمسك يدها ، قائلاً فى حزم :

(*) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨١) .

- هذا يمنحك الحق ، فى الحصول على السبق الصحفى .

سألته فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

نهض من فراشه ، قائلاً :

- أعنى أن خبر الرحلة لن يلبث أن ينتشر ، ويلتقطه صحفى آخر ، وأنت تملكين فرصة نادرة ، للفوز بهذا السبق .

ترددت قائلة :

- ولكن ..

سألها ، وهو يتجه إلى حيث ملابسه :

- ولكن ماذا ؟

أجابته مرتبكة :

- ولكن إذاعة الخبر عالميًا ، قد يفسد مهمة (نور) ، ثم إنه لايوجد راصد واحد ، يمكنه نقل صور سفينة الفضاء ، فى أثناء الرحلة .

قال وهو يلتقط ملابسه :

- لدى وسيلة لهذا .

هتفت به :

- ماذا تفعل ؟

أجاب فى حزم :

- سأنصرف معك من هذا المكان ، فأنا أشعر بالاكتئاب ، من المرض والمستشفيات .

قالت معترضة :

- لن يروق هذا للطبيب .

أجاب فى حزم :

ـ سأنصرف معك من هذا المكان ، فأنا أشعر بالاكتئاب ..

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!.. سنرسل له برقية اعتذار إذن .

ثم أشار إليها ، مستطردًا :

ـ والآن انتظرينى فى الخارج ، حتى أنتهى من ارتداء ثيابى ، وسنذهب معًا إلى حيث ينتظرنا السبق الصحفى .

سألته وهى تغادر الحجرة :

ـ إلى أين ؟

غمز بعينه ، قائلًا :

ـ اجعليها مفاجأة !

ثم أغلق الباب خلفها ..

★ ★ ★

«من الفضاء إلى الأرض .. إننا نقترب من الهدف .. حوّل» .

تلقى (نور) العبارة فى اهتمام بالغ ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت (هاشم) ، عبر جهاز الاتصال ، قائلًا :

ـ من الأرض إلى الفضاء .. عدّل مسارك بمقدار درجتين ، بالنسبة للخط العمودى على الشمس ، وستبلغ الهدف ، بعد ست دقائق وثانيتين بالضبط .

عقد (رمزى) حاجبيه مرة أخرى ، وقال :

ـ عجيب أمر (هاشم) هذا .. إنه يتحدث كما لو كان شخصًا آليًا ، دون أية مشاعر أو انفعالات .

دغدغت العبارة منطقة ما ، فى عقل (نور) ، فزوى ما بين حاجبيه بدوره ، وغمغم :

- شخص آلى .. ماذا لو ؟..

بتر عبارته ، وهو يدرس الأمر فى عمق ، فسأله (رمزى) :

- ماذا لو ؟ ماذا ؟

صمت (نور) لحظات ، ثم هز رأسه ، قائلاً :

- لا .. إنه مجرد احتمال عجيب .

ثم ضغط أزرار تعديل المسار ، وأشعل القيادة الآلية ، قبل أن ينهض عن مقعده ، قائلاً :

- لو أن (هاشم) يقودنا إلى الطريق الصحيح ، لظهرت الشمس الفيروزية أمامنا الآن .

قال (رمزى) ، وهو يتطلع إلى شاشة الراصد ، فى انبهار ونشوة :

- إذن فهو على حق ..

رفع (نور) عينيه إلى شاشة الراصد ..

وخفق قلبه فى انبهار ..

كانت كرة الطاقة الفيروزية تتألق وسط الفضاء ، كشمس صغيرة ، وداخلها حقيبة مكعبات الكمبيوتر ..

وارتفع صوت (هاشم) ، وهو يقول :

- لقد بلغنا الهدف .

أسرع (نور) بوقف محركات السفينة ، وبضغط أزرار الصواريخ العكسية ، للتخفيف من سرعتها ، وهو يتمتم فى ارتياح :

- لقد نجحنا ، فى هذا الجزء من الخطة أيضًا ، بحمد الله (عز وجل) .

أزال المشهد كل ما وَلَد فى عقله من شكوك ، حول (هاشم) وصوته الآلى الخالى من أية انفعالات ، وانتظر حتى توقفت السفينة تمامًا ، على بعد عدة أمتار من الشمس الفيروزية الصغيرة ، ثم قال لـ(رمزى) :

- سأخرج لالتقاطها .

بدأ التوتر يعاود (رمزى) مرة أخرى ، وهو يقول له :

- كن على حذر يا (نور) .

ابتسم له (نور) ، قائلاً :

- اطمئن .

ثم توجه إلى حجرة معادلة الضغط ، فارتدى أحد ثياب الفضاء ، وضغط أزرار لوحة التحكم ، فانخفض الضغط داخل الحجرة تدريجيًا ، حتى تعادل مع الضغط فى الفضاء الخارجى ، وانفتح باب الحجرة فى بطء ..

وأمام عينى (نور) ، بدا الفضاء اللانهائى ، والشمس الفيروزية الصغيرة تسبح فيه بنعومة ، وارتفع جسده بفعل انعدام الجاذبية ، وضغط أزرار الدفع ، ليندفع جسده فى نعومة ، نحو الشمس الفيروزية ..

وعلى شاشة الراصد ، شاهد (رمزى) (نور) ، وهو يسبح فى الفضاء ، متجهًا إلى حقيبة المكعبات ، وغلاف الطاقة المحيط بها ..

وتضاعف التوتر فى أعماق (رمزى) ..

كان يشعر بالقلق ، منذ سمع صوت (هاشم) ..

ومنذ لاحظ افتقاره إلى أية انفعالات بشرية ..

بل منذ حادث انفجار جناح المستشفى ..

وفى أعماقه ، كان يعلم أنه هناك شخصا ما ، مايزال على قيد الحياة ، ويحاول منع نجاح هذه المهمة ..

شخص مجهول ..

وقاتل ..

وفى تلك اللحظة ، وهو يتابع سباحة (نور) فى الفضاء ، على شاشة الراصد ، كان يوقن من أن هذه هى اللحظة المناسبة ..

أفضل لحظة ، يمكن أن ينتقيها القاتل ..

بل أفضل وسيلة لضربته ..

وخفق قلب (رمزى) بين ضلوعه ، وارتجفت الدماء فى عروقه ، وهو ينتظر الضربة فى أية لحظة ...

الضربة القاضية .

* * *

٧ ـ الضربة ..

شعرت (مشيرة) بالقلق والاشفاق على (أكرم) ، وهو يقود سيارته بسرعة كبيرة ، وقالت فى تعاطف حنون :

ـ أشعر أنك تبذل جهدا يفوق احتمالك يا (أكرم) .

ابتسم ابتسامة يطل منها وجه التعب ، وهو يقول :

ـ إننى مستعد لتحطيم الدنيا من أجلك .

قالت معترضة :

ـ ولكننى أجهل حتى ما تقودنى إليه .. لقد أطعتك فى كل ما طلبت ، فذهبت معك إلى محطة البث ، وأحضرت آلة تصوير هولوجرافية ، يمكنها بث كل ما تلتقطه إلى المحطة ، التى تبثه بدورها إلى العالم أجمع ، ولكنك لم تخبرنى بعد بما ستلتقطه هذه الآلة .

أجابها بابتسامة كبيرة :

ـ ستلتقط تفاصيل رحلة (نور) الفضائية ، لحظة بلحظة .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهتفت :

ـ وكيف ستحدث هذه المعجزة ، دون شاشات رصد ؟

فرقع أصبعيه ، قائلا :

ـ بوساطة منظار مرصد (حلوان) الفلكى .

هتفت فى إعجاب :

ـ يالها من فكرة !.. أنت عبقرى يا (أكرم) .

أسعده إطراؤها ، وقال :

- إنها ليست فكرة عبقرية كما تتصورين ، بل مجرّد ترتيب طبيعى للأحداث ، فـ (نور) الآن يتجه إلى الشمس الفيروزية ، ومنظار المرصد يتابع تلك الشمس الصغيرة طيلة الوقت ، وهذا يعنى أنه سيلتقط حتمًا صورة (نور) ، عندما يبلغها ، ويلتقطها ، وينقل المشهد إلى شاشته الكبيرة ، ولو نجحنا فى بلوغ المكان ، قبل هذا المشهد ، فسنقوم بتصويره فى الشاشة الضخمة ، بآلة التصوير الهولوجرافى ، وننقل الصورة إلى محطة البث ، ليرى العالم أجمع ذلك العمل العظيم .

صفقت بكفيها فى طرب ، وهى تهتف فى سعادة :

- ستكون أروع ضربة صحفية يا (أكرم) .. ألم أقل لك إنك عبقرى .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه ، وهو ينحرف فى الطريق المؤدى إلى المرصد ، وزاد من سرعة سيارته ، حتى بلغ المكان فى بضع دقائق فحسب ، ثم قفز من السيارة ، وأسرع نحو المرصد ، هاتفًا :

- أسرعى يا (مشيرة) .. لو أننا سعداء الحظ ، فسننجح فى التقاط صورة (نور) ، وهو يستعيد الحقيبة .

كان يشعر بآلام مبرحة فى صدره ، ولكنه واصل عدوه فى سرعة ، حتى بلغ باب المرصد ، و(مشيرة) تتبعه لاهثة ، وهى تحمل آلة التصوير الهولوجرافية الصغيرة ، ودق باب المرصد فى قوة ، هاتفًا :

- سيّد (هاشم) .. افتح الباب فى سرعة ، وإلا فاتنا أهم مشهد .

جاوبه صمت تام ، فغمغمت (مشيرة) ، وهى تلهث فى تعب :

- ربما لايوجد أحد هنا .

أجابها فى توتر :

- مستحيل .. مادام (نور) فى الفضاء ، فمن المحتم أن (هاشم) يتابعه من هنا .

دق الباب مرة أخرى فى قوة ، صائحًا :

- سيّد (هاشم) .. افتح الباب .

ثم تراجع منتزعًا مسدسه من حزامه ، وهو يقول لـ(مشيرة) :

- تراجعى .. فهذه الرصاصات القديمة ترتد فى عنف .

وأطلق النار على رتاج الباب ثلاث مرات ، قبل أن يضربه بقدمه ، ثم يندفع إلى الداخل ، وخلفه (مشيرة) ..

وأطلقت (مشيرة) شهقة ذعر ، عندما وقع بصرها على جثة (هاشم) ، فى حين انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو ينقل بصره بين الجثة ، وذلك الجهاز المتصل بجهاز الاتصال ، وشاشة المرصد ، التى تنقل صورة (نور) ، وهو يسبح فى الفضاء ، متجهًا إلى كرة الطاقة ، وقال فى عصبية :

- ما الذى يحدث هنا ؟

شمل الخوف (مشيرة) لحظة واحدة ، ثم لم تلبث حاستها الصحفية أن استيقظت ، فأسرعت تلتقط صور المشهد ، وتسجّلها داخل آلة التصوير الهولوجرافى ، وهى تقول :

- لايوجد وقت لتركيب أجهزة البث الداخلى ، سأنقل المشهد فحسب .

شمل الخوف (مشيرة) لحظة واحدة، ثم لم تلبث حاستها الصحفية أن استيقظت، فأسرعت تلتقط صور المشهد ..

تابع (أكرم) المشهد على الشاشة، وأضلاعه المحطمة تصرخ ألمًا، وتبعث في جسده نبضات رهيبة، وراح يردد:

ـ ولكن ماذا يحدث هنا؟.. ماذا يحدث بالله عليك؟

وبقي سؤاله بلا جواب.

مؤقتًا.

* * *

يقول بعض رواد الفضاء القدامى: إن السباحة في الفضاء، تشبه السباحة في أعماق البحار ..

ولكن (نور) لم يوافقهم على هذا الرأي، وهو يسبح نحو الشمس الفيروزية الصغيرة ..

لقد شعر بنشوة لامثيل لها، وهو يسبح نحو كرة الطاقة.

نشوة لاتدانيها نشوة ..

كان جسده خفيفًا، والفراغ من حوله لانهائي، وأجهزة الدفع الدقيقة، تدفعه نحو الكرة في رفق ونعومة ..

ومن بعيد كانت الشمس تشرق، وسط ظلام الكون، ونجومه اللامعة، الممتدة حتى نهاية البصر ..

وكان القمر كبيرًا مستديرًا، قريبًا ..

واقترب (نور) في نعومة من الكرة ..

وعندما مد يديه يلتقطها، سرت في جسده قشعريرة لذيذة، قبل أن يحتويها بكفيه، ويضمها إلى صدره، ثم يستدير عائدًا إلى حجرة معادلة الضغط ..

وداخل كابينة القيادة، انفجرت شفتا (رمزي) في انبهار، وهو يتابع المشهد على شاشة الراصد ..

وتمنى من أعماقه ، لو أمكنه تسجيل ماحدث ..

تسجيل تلك اللحظة ، التى التقط فيها (نور) بكفيه أمل الأرض ..

الأمل الفيروزى ..

ولكن القلق لم يفارق صدره ..

ذلك القلق المبهم ، الثقيل الذى يجثم على أنفاسه ، منذ بدأت تلك الرحلة ..

وعندما استدار (نور) ليبدأ رحلة العودة ، هدأت مخاوف (رمزى) قليلاً ..

ولكنها لم تزل تمامًا ..

وفى ترقب شديد ، تابع رحلة (نور) ، وهو يسبح بتلك النعومة المفرطة ، عائدًا إلى السفينة ..

وفى هدوء ، ودون أية عقبات ، بلغ (نور) باب حجرة معادلة الضغط المفتوح ، وعبره فى خفة ، ثم أغلقه خلفه فى إحكام ، وضغط أزرار معادلة الضغط مرة أخرى ..

وهنا .. هنا فقط هتف (رمزى) :

ـ لقد نجحنا .

قفزت (نشوى) من مكانها ، فى حجرة المخابرات العلمية ، وصفقت بكفيها ، هاتفة فى جذل :

ـ لقد نجح أبى .. التقط الأمل بيديه .

وزفر (محمود) فى ارتياح ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .

ثم اعتدل فى حماس ، مستطردًا :

ـ ينبغى أن نضاعف سرعة عملنا إذن ، فلقد وعدنا (نور) أن يجد الناسخ جاهزًا ، عندما يعود من رحلته .

والتفت إلى (سلوى) ، متابعًا :

ـ أليس كذلك يا (سلوى)؟

أدهشه ذلك الجمود ، الذى يحيط بها ، وهى شاردة ، أمام جهاز الاتصال ، فمال نحوها ، وسألها فى حذر :

ـ (سلوى) .. ماذا يقلقك؟

انتفضت على نحو عجيب ، وهى تلتفت إليه ، وتتطلع إلى وجهه لحظات فى دهشة ، قبل أن تهتف :

ـ لاشىء .. لاشىء يا (محمود) .

ثم عاودت شرودها ، مستطردة :

ـ إنها بعض المخاوف .. بعض المخاوف المبهمة .

لم يدر (محمود) ، أهى بالفعل بعض المخاوف المبهمة ، أم هى تلك الغريزة ، التى تنطلق من عقالها ، فى مثل هذه الظروف؟

غريزة الشعور بالخطر ..

★ ★ ★

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يتابع مهمة (نور) الناجحة ، على شاشة المرصد ، وهتف فى ارتباك :

ـ لماذا إذن؟.. لماذا كل هذا؟

قالت (مشيرة) فى انفعال :

ـ لست أدرى لماذا حدث ماحدث يا (أكرم) .. صحيح أن (نور) قد نجح فى مهمته بسلام ، ولكن الشخص الذى قتل

(هاشم) ، وأوصل هذا الجهاز بجهاز الاتصال ، لايقصد خيرًا حتمًا .. هيا يا (أكرم) .. افصل هذا الجهاز اللعين .. أيا كان عمله .

انحنى (أكرم) نحو الجهاز فى حماس ، وهمّ بقطع الأسلاك ، التى توصله بجهاز الاتصال ، ولكنه ارتدّ فى حركة مباغتة ، وهو يقول :

ـ اللعنة !

سألته (مشيرة) فى قلق

ـ ماذا هناك؟

أجابها فى عصبية :

ـ الوغد الذى فعل هذا ، اتخذ الحيطة لمثل هذا التصرّف ، فأوصل جهازه بقنبلة شديدة التفجير ، تنفجر فور قطع الأسلاك عن الجهاز ، أو تحريكه من مكانه .

قالت فى مزيد من القلق :

ـ ماذا نفعل؟

اعتدل قائلًا فى توتر شديد :

ـ لست أدرى .. إننى أجهل حتى الغرض من هذا الجهاز .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع من جهاز الاتصال صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ من سفينة الفضاء إلى الأرض .. تمت المهمة فى نجاح .. ونحن فى طريق العودة إلى الأرض .

وفوجئ (أكرم) و(مشيرة) بصوت يماثل صوت (هاشم) تمامًا ، يخرج من الجهاز الصغير ، قائلًا :

ـ احترس يا (نور) .. لايمكنك العودة إلى الأرض مباشرة ، فشاشة المرصد تنقل إلىّ صورة سرب من النيازك ، يقطع خط عودتك .

ألقى (أكرم) نظرة سريعة على شاشة المرصد ، التى نقلت صورة هائلة لسفينة الفضاء ، وهى تستدير استعدادًا للعودة ، وهتف :

ـ لقد فهمت .. إن (نور) يستقبل هذا القول الآن ، ويتصور أن (هاشم) يرشده ، فى حين أنه يستقبل فى الواقع رسالة معدة مسبقًا ، يهدف صاحبها إلى شىء ماليس فى صالح (نور) أو رحلته حتمًا .

شحب وجه (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى!

فى نفس الوقت ، ارتفع من جهاز الاتصال صوت (نور) ، وهو يقول فى قلق واضح :

ـ ماذا نفعل إذن ؟

انبعث من الجهاز صوت (هاشم) الزائف ، يقول :

ـ انحرف بعيدًا عن الشمس ، بزاوية تسع وثلاثين درجة ، فى اتجاه مدار القمر .

صاح (أكرم) :

ـ يارب السموات .. إنه يدفعهما إلى مسار آخر .. لن يعيدهما إلى الأرض أبدًا .

وقفز نحو جهاز الاتصال ، صارخًا :

ـ لاتصدقه يا (نور) .. اتبع مسارك الأوّل .. لاتصدقه .

ولكن (مشيرة) قالت فى مرارة :

ـ لن يسمعك .. من الواضح أن الجهاز الصغير يلغى عمل الجهاز الأصلى ، بالنسبة لاستقبال الأصوات الخارجية .

هتف (أكرم) :

ـ سأقطع الأسلاك إذن .

تشبثت به ، هاتفة :

ـ لا يا (أكرم) .. إنك ستقتلنا بهذا ، دون أن تفيد (نور) .

توقف لحظة حائرًا ، ثم جذبها من يدها ، واندفع إلى الخارج ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ هيا بنا إذن .

اندفعت خلفه ، على الرغم منها ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ إلى أين؟.. ماذا ستفعل؟

أجاب وهو يقفز داخل سيارته :

ـ سننطلق بأقصى سرعتنا ، إلى مقر المخابرات العلمية فى المقطم .. سنجد هناك حتمًا وسيلة اتصال أخرى بـ (نور) .. هيا .

لم تكد تقفز داخل السيارة ، حتى أطلق لمحرّكها العنان ..

كان فى سباق مع الزمن ..

ومع الأمل .

* * *

بدا القلق على وجه (رمزى) ، عندما بدأ (نور) فى تعديل مسار السفينة ، إلى الاتجاه الذى أشار إليه (هاشم) ، وقال :

ـ (نور) .. الشك يملأ نفسى فى شدة .

سأله (نور) :

ـ لماذا؟

أجابه (رمزى) :

ـ تعديل المسار الجديد هذا ، يقودنا إلى مدار القمر ، تبعًا لما يقوله كمبيوتر السفينة ، فلماذا نفعل هذا؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ لنتفادى سرب النيازك ، الذى أشار إليه (هاشم) ، ثم نعود إلى مسارنا التقليدى .. تعديل المسار هذا أمرًا شائع الحدوث ، فى الرحلات الفضائية .

أجابه (رمزى) فى إصرار :

ـ ولكن أسلوب (هاشم) الجاف هذا مايزال يقلقنى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أتقصد أسلوبه شبه الآلى؟

قال (رمزى) فى لهجة ذات مغزى خاص :

ـ أو الآلى .

التقى حاجبا (نور) أكثر ، وهو يفكر فى هذه العبارة ، ثم ألقى نظرة على شاشة الرصد ، التى تنقل إليه صورة القمر ، الذى يقترب كثيرًا ، وغمغم :

ـ من يدرى؟ .. ربما ..

قفزت عدة صور إلى رأسه ، فى تتابع سريع ..

انفجار جناح المستشفى .

مصرع العاملين بأشعة الليزر ..

مقتل رجل الأمن ، قبيل الإقلاع ..

الشكوك فى وجود قنبلة ..
ثم صورة حجرة معادلة الضغط ، التى بدت أصغر مما ينبغى ..
وهبّ (نور) فى مقعده ، قائلًا :
ـ لحظة يا (رمزى) .. هناك ما ينبغى مراجعته .
قال (رمزى) فى توتر :
ـ وماذا عن قيادة السفينة ؟
ضغط (نور) أحد الأزرار ، قائلًا :
ـ سيتولاها الملاح الآلى .
ثم اندفع خارج كابينة القيادة ، وعبر الممر الموصل بينها ، وبين غرفة معادلة الضغط ، فى سرعة كبيرة ، حتى بلغ الحجرة ، ولم يكد يلقى نظرة داخلها ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ..
كانت الحجرة تبدو أكثر اتساعًا من ذى قبل ..
كانت شكوكه صحيحة ..
ولكن كيف حدث هذا ؟.. وكيف ؟
قبل أن يتمّ التساؤل فى رأسه ، ندت إلى جواره حركة ، جعلته يلتفت إلى مصدرها فى سرعة ، ووقع بصره على ذلك الشاب الوسيم ، الذى يرتدى حلة فضائية ، والذى يصوّب إليه مسدسًا ليزريًا ، ويقول بابتسامة هادئة أنيقة :
ـ أهلًا أيها الرائد (نور) .. كم يسعدنا أن التقينا .. اسمى (ميرفى) .. الأمريكى (ميرفى) .
واتسعت ابتسامته أكثر .
* * *

٨ ـ المسار ..

سألت (نشوى) أمها ، وهى تضع اللمسات الأخيرة ، فى الجزء الخاص بها ، من جهاز النسخ :
ـ متى يصل أبى بإذن الله يا أمى ؟
أجابتها (سلوى) ، وهى تسترخى لحظات فى مقعدها :
ـ أظن الرحلة تحتاج إلى ساعة أخرى .. بذلك الوقود الأيونى .
ابتسم (محمود) ، وقال :
ـ كان هذا يحتاج إلى أسبوع كامل على الأقل فى الماضى ، باستخدام الوقود التقليدى .
غمغمت (سلوى) ، وهى تسبل جفنيها :
ـ كل شىء يتطوّر .
سألتها (نشوى) مشفقة :
ـ أما زلت تشعرين بالقلق يا أماه ؟
أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :
ـ أشعر به باستمرار .. ربما لأننى اعتدت أن يواجه (نور) مخاطر شتى ، فى كل مهمة للفريق ، قبل حتى أن نتزوّج ، أو لأن غريزتى كأنثى ، تستشعر خطرًا مبهمًا ، لم يفصح عن نفسه بعد .
ضحك (محمود) ، وقال :
ـ لست أومن بهذه الغريزة الأنثوية .

مع نهاية عبارته ، انبعث صوت ، من جهاز الاتصال الداخلى لمبنى المخابرات العلمية الجديد ، يقول :

ـ هنا زائران ، يرغبان فى مقابلة الفريق العلمى رقم (واحد) ، على وجه السرعة .

ضغط (محمود) زر جهاز الاتصال ، وقال :

ـ من هما؟

أجابه رجل الأمن الداخلى :

ـ السيّد (أكرم) ، و(مشيرة محفوظ) ، صحفية (أبناء الفيديو) .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ـ دعهما يدخلان على الفور يا رجل .

اعتدلت (سلوى) ، وهى تقول فى دهشة :

ـ كيف ترك (أكرم) المستشفى بهذه السرعة .؟ لقد كانت إصابات صدره تحتاج إلى وقت طويل .

قال (محمود) ضاحكًا :

ـ أراهنك أنه هرب من المستشفى ، فأمثاله لايحتملون البقاء طويلًا ، تحت نظام طبى صارم ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انفتح باب الحجرة ، وظهر على عتبته (أكرم) ، شاحب الوجه ، زائغ النظرات ، يمسك صدره فى ألم شديد ، و(مشيرة) تسنده بذراعيها فى إشفاق وجزع ، فهتفت (نشوى) ، وهى تهرع إليه :

ـ أستاذ (أكرم) .. ماذا أصابك؟

واندفع إليه (محمود) هاتفًا :

ـ لماذا فعلت هذا بنفسك يا (أكرم)؟.. لماذا غادرت المستشفى ، قبل أن يتمّ شفاؤك ؟

أجابه (أكرم) فى إعياء متوتر :

ـ دعك منى الآن .. المهم (نور) .. (نور) يواجه خطرًا داهمًا .

وهوت عبارته عليهم كالصاعقة .

أو كقنبلة ..

قنبلة شديدة التدمير ..

* * *

غمغم (رمزى) محدثًا نفسه ، وهو يتابع شاشة الرصد :

ـ إننا نقترب كثيرًا من القمر .. ولهجة (هاشم) لاتروق لى أبدًا .. ماذا لو أن الذى يرشدنا ليس (هاشم) ، وإنما شخص ينتحل صوته وأسلوبه ، أو ..

قاطعه صوت ساخر من خلفه ، يقول :

ـ أو جهاز آلى .

التفت إلى مصدر الصوت فى حركة حادة عنيفة ، حتى كاد يسقط من مقعده ، واتسعت عيناه فى ذعر ودهشة ، عندما رأى (نور) يدخل إلى كابينة القيادة ، رافعًا ذراعيه خلف رأسه ، ومن خلفه (ميرفى) ، فى حلة فضائية ، يصوّب مسدسه إليه ..

وهتف (رمزى) :

ـ من أنت؟.. ومن أين أتيت؟

أجابه (نور) فى ضيق :

- إنه يصحبنا ، منذ بداية الرحلة .

صاح (رمزى) فى ذهول :

- كيف؟

أجابه (ميرفى) بابتسامته الأنيقة ، وهو يخرج من جيبه جهازًا مربعًا كبيرًا :

- بواسطة هذا الجهاز الطريف .. إنه أحدث ابتكارات إدارتنا ، قبيل الغزو مباشرة ، ومن حسن الحظ أنه نجا من التدمير ، ونحن نطلق عليه اسم (الحرباء)(*) ، فهو يشبهها كثيرًا ، فى قدرته على محاكاة البيئة .. وبواسطة جهازنا الصغير هذا ، التقطت صور للجدار الأيسر ، لحجرة معادلة الضغط ، عندما تسللت إلى السفينة ، مرتديًا زى أحد رجال الأمن ، وبعدها تركت (الحرباء) يعمل ، وأتقن هو عمله فى الواقع ، فتمدد ، واستطال ، وصنع حاجزًا رقيقًا ومتينًا ، له نفس شكل ولون وملمس الجدار الأصلى ، وأمكننى أنا أن أختبئ خلف هذا الحاجز ، الذى عزلنى تمامًا عن الحجرة ، حتى عندما انخفض الضغط فيها ، ليماثل الضغط فى الفضاء الخارجى .

تمتم (رمزى) :

(*) الحرباء : زاحفة صغيرة ، بطيئة الحركة ، تعيش على الأشجار ، فى جنوب (آسيا) و(أفريقيا) ، يتغير لون جلدها تبعًا للبيئة ، وتبعًا لتغير حدة الضوء ودرجة الحرارة ، ولها لسان طويل ، تقتنص به الحشرات ، التى تتغذى بها .

- إذن فأنت هنا لإفساد الرحلة .

ابتسم (ميرفى) ابتسامته الأنيقة ، وهو يقول :

- من قال هذا؟ .. لو أننى أرغب فى إفساد الرحلة ، لفعلت هذا منذ البداية ، ولما كانت هناك حاجة لمصاحبتكم فيها .

سأله (نور) فى ضيق :

- ما الذى تريده إذن؟

أجابه مبتسمًا :

- حقيبة المكعبات .

ثم أضاف ، وعيناه تتألقان :

- وإمبراطورية .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، فى حين ردد (رمزى) فى دهشة :

- إمبراطورية ؟!

برقت عينا (ميرفى) أكثر ، وأطلت منها شراهة واضحة ، وهو يقول فى لهجة عجيبة :

- الإمبراطورية الجديدة ، التى ستحكم الأرض ..

وازداد تألق عينيه ، وهو يستطرد :

- إمبراطورية (ميرفى) ..

* * *

جلس النحيل خلف مكتبه متوترًا ، فى إدارة المخابرات العلمية الأمريكية الجديدة ، وفرك كفيه عشرات المرات ، قبل أن يضغط زرًا صغيرًا ، ويقول فى عصبية :

- ألم يتصل (ميرفى) مرة أخرى؟

أجابه صوت هادئ :

- لا ياسيدى .. ليس بعد .

قال فى حدة :

- أليس من المفروض أن يتصل مرتين يوميًا ، على الأقل؟

أجابه صاحب الصوت :

- ولكنه لم يفعل ياسيدى .

قال فى عصبية :

- بلغنى فور اتصاله .

وأنهى المحادثة ، قبل أن يسمع جواب محدثه ، صاحب الصوت الهادئ ، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول لنفسه فى عصبية :

- لماذا لم يتصل هذا الحقير؟.. لماذا لم يفعل؟

راح يسترجع كل حواره مع (ميرفى) ، قبل أن يتابع لنفسه :

- أخشى أن أكون قد أخطأت ، عندما استعنت بيهودى طموح مثل (ميرفى) هذا .. إننى أعرف طبيعة هؤلاء الأشخاص .. ما أن يجد بيده كل القوة ، حتى يسعى للسيطرة والطغيان .. لماذا سمحت له بالحصول على كل هذه الأسلحة ؟

فرك كفيه عدة مرات أخرى ، وحلّ رباط عنقه ، مستطردًا :

- ولكن (ميرفى) طلب مليار دولار .. وكل بنى جنسه يعبدون المال .. إنه سيعود حتمًا ، من أجل المليار دولار .

لم يقنع عقله بهذا التفسير ، فتابع فى عصبية :

- هذا لو لم يحاول الحصول على ما هو أكثر ، بعد أن يمتلك المكعبات .. إنه سيحاول حتمًا ، ذلك اللعين .

ضرب سطح مكتبه فى حدة ، ثم قال :

- أنا الذى منحته الفرصة .. أنا الذى منحته إياها .

وراح قلبه يخفق فى عنف ، وهو يضيف :

- لست أستبعد أن يسعى للسيطرة على الأرض.. الأرض كلها .

ودق سطح المكتب بقبضته مرة أخرى ..

* * *

حدق (رمزى) فى وجه (ميرفى) بدهشة ، وهو يقول :

- إمبراطورية (ميرفى)؟!.. هل أصابك الجنون؟

قال (نور) فى غضب :

- بالتأكيد .. إنه ليس أول مجنون نلتقى به ، فمن سعوا للسيطرة على كوكب الأرض كله ، ثم تلاشت أحلامهم ، وذهبت كلها أدراج الرياح .

ابتسم (ميرفى) فى ثقة ، وقال :

- ولكن أحلامى أنا تختلف ياصديقى ، فكل شىء لدى مدروس ، ومحسوب بمنتهى الدقة .. إننى سأحصل على المكعبات ، وعلى كل ماتبقى من أسلحة الدمار والسيطرة .

سأله (نور) فى تهكم :

- وأين ستجد هذه الأسلحة أيها العبقرى؟

أجابه (ميرفى) ، وهو يشير إلى شاشة الرصد :

- على القمر .. فى سجن القمر .. طبقًا لما لدينا من إحصائيات ، فما حمله المجرمون الثلاثة معهم ، من سجن القمر ، لايساوى قيراطًا واحدًا ، من إجمالى مايحتويه القمر

من أسلحة .. فهناك قاعدة دفاعية كاملة ، للتصدى لأى هجوم فضائى ، وعدد من السفن الفضائية ، ومركز مراقبة أرضى كامل ، وأشياء أخرى عديدة ، يمكنها السيطرة على الأرض من القمر .

قال (نور) فى توتر :

- ألهذا خدعتنا ، ودفعتنا إلى تعديل مسارنا؟

قال فى زهو :

- تماما .. لقد بنيت خطتى على هذا الأساس منذ البداية ، فأنا لا أجيد قيادة سفن الفضاء ، مثلك أيها الرائد ، وأعلم أنك رجل عنيد ، لم يكن التهديد ليقنعك أبدا ، بنقلى إلى القمر ، حيث الأسلحة والقوة .. إذن فالوسيلة الوحيدة هى خداعك .. ولقد أفلحت كما ترى ..

ارتفع فى تلك اللحظة صوت (سلوى) المذعور ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تقول فى انفعال :

- (نور) .. هناك مؤامرة ما تحاك ضد رحلتك يا (نور) .. لقد قتل أحدهم (هاشم) ، ووضع بدلًا منه جهازًا مخادعا ، يرشدك إلى مسار مختلف ، و ..

قاطعها (نور) فى حنق :

- أعلم هذا يا (سلوى) .. أعلم هذا؟

أتاه صوتها مفعما بالدهشة والقلق ، وهى تقول :

- تعلم؟! كيف؟

أجاب فى سخط :

- القاتل هنا معنا ، داخل السفينة ، و..

أدار (ميرفى) فوهة مسدسه الليزرى ، وأطلق الأشعة على جهاز الاتصال ، فنسفه نسفا ، وقطع الاتصال بغتة ، ثم قال بابتسامته الجذابة :

- لم يعد هناك داع للاتصال بالأرض .. أليس كذلك؟

* * *

امتقعت وجوه الجميع ، داخل مبنى المخابرات العلمية المصرية ، مع ذلك الانقطاع المباغت للاتصال ، بعد أن نطق (نور) عبارته الأخيرة ، وهوت (سلوى) فوق أقرب مقعد إليها فى انهيار ، وهى ترتجف :

- يا إلهى!.. القاتل معهما .. القاتل معهما .

سيطرت (نشوى) على الانفعال الجارف ، الذى يعصف بأعماقها ، وهى تفكر فى والدها و(رمزى) فى آن واحد ، وحاولت تهدئة أمها ، قائلة :

- هذا لا يعنى شيئا .. لقد واجه أبى و (رمزى) مواقف أكثر عنفا ، ونجحا فى التغلب عليها ، و ..

لم ينجح صوتها حتى فى إقناعها هى ، فابتلعت باقى العبارة ، وعضت شفتيها فى قهر ، فى حين ضرب (أكرم) مسند مقعده بقبضة فى مرارة ، وهو يقول :

- آه لو كانت هناك وسيلة للسفر إليهما .. آه لو كان هناك صاروخ آخر .

هاجمه ذلك الصداع الرهيب مرة أخرى ، من فرط الانفعال ، وتفجرت آلام صدره فى عنف ، فتابع فى ألم :

- اللعنة !

ثم تدفق من بين شفتيه سيل من الدماء ، جعل (مشيرة) تهتف فى ذعر ، وهى تندفع نحوه :

ـ (أكرم) .. يا إلهى !.. النجدة !.. النجدة !

قفز (محمود) من مقعده ، واختطف مسماع جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى توتر :

ـ إسعاف .. نريد فريق الإسعاف بأقصى سرعة .

التف الجميع حول (أكرم) ، الذى أحاطته (مشيرة) بساعديها فى هلع ، وهى تردد :

ـ ماذا أصابك يا (أكرم) ؟ .. ماذا أصابك ؟

حاول أن يبتسم فى صعوبة ، مغمغما فى تهالك :

ـ اطمئنى يا أميرتى .. إننى فى خير حال .

ولكنه لم يكد ينتهى من قوله ، حتى انهار فاقد الوعى ، فصرخت (مشيرة) :

ـ لا يا (أكرم) .. لا .. لا تتركنى هكذا .

وصل طاقم الإسعاف الخاص بالإدارة ، فى هذه اللحظة ، وأسرع رجاله يحيطون بـ (أكرم) ، ويفحصونه بأجهزتهم الدقيقة ، فتراجعت (مشيرة) ، وقالت فى ارتياع :

ـ هل .. هل مات ؟

أجابها رئيس طاقم الإسعاف :

ـ لا إنه على قيد الحياة ، ولكن حالته بالغة السوء ، ويحتاج إلى نقله إلى المستشفى ، على وجه السرعة .

فردوا محفتهم ، ونقلوه إليها ، مع كل الأجهزة المتصلة به ، واندفعوا إلى الخارج ، فى حين تخاذلت ساقا (مشيرة) ، وعجزت عن اللحاق به ، وهى تردد :

ـ لا أريده أن يموت .. لا أريده أن يموت .

ربتت (نشوى) على كتفيها ، قائلة :

ـ سينجو يا (مشيرة) .. سينجو بإذن الله .

أما (محمود) فقد بقى جامدا لحظات ، ثم اندفع نحو الباب فى حركة حادة ، فسألته (سلوى) ، فى شبه انهيار :

ـ إلى أين ؟ .. هل ستتركنا وحدنا ؟

أجابها بتوتره الشديد :

ـ إننى مضطر لهذا ، فلدى فكرة لمعرفة ماحدث ، وسأحاول تنفيذها بأقصى سرعة .

سألته :

ـ ما هى ؟

أجاب وهو يعدل وضع منظاره فوق أنفه :

ـ المنظار الفلكى ، فى مرصد (حلوان) ، مبرمج بحيث يتابع كرة الطاقة ، أينما كانت ، ومادام (نور) قد استعاد الكرة والمكعبات ، وهى الآن داخل السفينة ، فسيواصل المنظار تتبعه للسفينة ، لحين تغيير برنامجه ، وهذا يعنى أننا نستطيع بدورنا متابعة مايحدث ، على شاشة المرصد .

هبت (سلوى) من مقعدها ، هاتفة :

ـ هذا صحيح .. سآتى معك .

قال فى حزم :

ـ كلا .. لابد لأحدنا من متابعة العمل ، فى صنع الناسخ الجديد ، فنحن أيضا ننتظر أوامر قائدنا (نور) ، لحين صدور أوامر جديدة ، أو ..

صمت لحظة ، ثم تابع فى مرارة ..

ـ أو تغير الظروف تماما .

* * *

«حسنا .. أنت لم تترك لى الخيار ..»

نطق (نور) هذه العبارة بلهجة عجيبة ، وكأنه يحدث نفسه ، فتطلع إليه (رمزى) فى تساؤل ، وقال (ميرفى) فى هدوء ، وهو يبتسم تلك الابتسامة الأنيقة ، التى قلما تفارق شفتيه :

ـ الخيار لماذا؟

قال (نور) ، فى هدوء مماثل :

ـ فى هذا الموقف .. إنك تريد الحصول على المكعبات ، والوصول إلى القمر ، للسيطرة منه ، وبوساطة أسلحته ، على الأرض ، التى تبذل أقصى جهدها ، للنهوض من ذلك الدمار ، الذى أصابها بعد الغزو ، ونجاحك فى هذا يعنى أن تكابد الأرض مرة أخرى ويلات الجنون والطغيان .

قال (ميرفى) فى سخرية :

ـ وهل تملك منعى؟

أجاب (نور) فى بساطة :

ـ إننى أجرى فى ذهنى حسبة رياضية بسيطة .

سأله (رمزى) هذه المرة فى حيرة:

ـ أية حسبة هذه؟

قال (نور) :

ـ إننى أتساءل : أيهما أفضل للأرض .. أن يعود إليها

تاريخها وفنونها وعلومها ، أم أن تنعم بالهدوء والاستقلال والاستقرار ، حتى لو اضطرت إلى نسيان ماضيها كله ، وبذل جهدها لصنع المستقبل؟.. باختصار .. أيهما أكثر أهمية للأرض ، فى الوقت الحالى .. الماضى أم المستقبل؟

أجاب (رمزى) ، وهو لم يدرك بعد ، ماينتويه (نور) :

ـ المستقبل حتما ، فالماضى لن يعود ، ولكن المستقبل يمكن بناءه من جديد .

أشار إليه (نور) بسبابته ، وقال :

ـ بالضبط .

ثم اتجه إلى الصناديق الثلاثة الكبيرة ، التى تحوى بدائل الصمامات ، واستطرد فى هدوء بالغ :

ـ خذ هذه الصناديق مثلاً .. إنها تحوى العشرات من أجهزة (الترانزيستور) ، والدوائر المطبوعة ، لتحل محل صمام واحد ، من الصمامات ذات الدوائر المضغوطة .

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، فى حين ابتسم (ميرفى) متهكما ، وهو يقول :

ـ أهى لوثة الخوف ، تلك التى أصابتك؟

ولكن (نور) تابع فى هدوء ، وكأنه لم يسمع العبارة :

ـ هذا الصندوق هناك ، يحل محل صمام الإشعال الرئيسى ، وذلك إلى اليمين ، يعمل على تشغيل الراصد ، أما الذى أمامى تماما ، فهو بديل للصمام الخاص بتوجيه السفينة ، وتغيير مسارها ، وهو بالغ الأهمية ، و..

ثم هوى بقبضته على الصندوق فجأة ، بكل ما يملك من قوة ، محطما بعض دوائر السليكون به ، وهو يستطرد فى حدة :

ثم هوى بقبضته على الصندوق فجأة ، بكل ما يملك من قوة ، محطمًا بعض دوائر السليكون به ..

ـ ولذلك سأحطمه .

لم يبد أدنى انفعال ، على وجه (ميرفى) ، فى حين هتف (رمزى) فى ذعر :

ـ ما الذى فعلته يا (نور)؟.. لقد حطمت بهذا وظائف جهاز التوجيه !

اعتدل (نور) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ هذا ما قصدته بالضبط .. لقد أفسدت جهاز التوجيه .

صاح (رمزى) وهو يلوّح بذراعيه :

ـ أتعلم ما يعنيه هذا؟ إننا لن نعود إلى الأرض أبدًا .

قال (نور) فى حزم :

ـ وكذلك صديقنا (ميرفى) .. إنه لن يعود أبدًا إلى الأرض .. ولن يذهب كذلك إلى القمر .. سيبقى مثلنا .. مفقود فى الفضاء ، وإلى أبد الآبدين .

قهقه (ميرفى) ضاحكًا ، وقال :

ـ من سوء حظك أيها الرائد ، أننى عبقرى ، فى مجال استنتاج ما يمكن أن يحدث ، وإعداد العدة له .. ولقد وضعت خطة بديلة ، لمثل هذا الاحتمال .. خطة تتيح لى الذهاب إلى القمر ، حتى لو ضلت هذه السفينة طريقها إلى الأبد ..

ثم رفع مسدسه الليزرى ، وصوّبه إلى (نور) و(رمزى) ، مستطردًا فى سخرية شديدة :

ـ وهذا يعنى أن لحظة الوداع قد حانت .. وأننا سنفترق هنا .. الوداع يا بطلى الأرض ؛

وحانت لحظة الموت .

* * *

٩ ـ المحاولة ..

استيقظ الفلكي الشيخ (جابر) من نوم القيلولة ، الذي اعتاده منذ سنوات ، على صوت طرقات عنيفة ، على باب منزله الجديد ، عند أطراف حي (المعادي) ، ونهض يفتح الباب ، وهو يقول متبرمًا :

ـ رويدك أيها الطارق .. لم يعد عمري يسمح لي بالسير ، بتلك السرعة التي تنشدها ، لإجابة طرقاتك .

بلغ الباب في صعوبة ، وفتحه ليتطلع إلى وجه (محمود) لحظة ، قبل أن يقول في حدة غاضبة :

ـ من أنت ؟.. لست أعرفك، فلماذا تطرق باب بيتي بهذا العنف ؟

أجابه (محمود) في كلمات سريعة :

ـ أنا المهندس (محمود) ، من المخابرات العلمية ، ونحن نحتاج إليك .

قال الرجل في دهشة :

ـ إليّ أنا ؟! المخابرات العلمية تحتاج إليّ أنا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ أشد الاحتياج يا سيدي .. لقد كنت مدير مرصد (حلوان) فيما مضى .. أليس كذلك ؟

قال الشيخ في حيرة ..

بلى .. ولكنني تركت هذه المهنة منذ عشر سنوات على الأقل ، بعد إغلاق المرصد ، و...

قاطعه (محمود) في لهفة :

ـ هل يمكنك أن تصحبني إلى هناك ؟

هتف الشيخ في دهشة بالغة :

ـ أنا ؟.. ولماذا أنا يا ولدي ؟

أجابه (محمود) بصبر نافد :

ـ قلت لك أننا في مسيس الحاجة إليك يا والدي ، فأنت الوحيد المتبقي على قيد الحياة ، من كل الفلكيين ، الذين عملوا في مرصد (حلوان) ، حتى لحظة إغلاقه ، وممن عاصروا التجديدات والتوسعات ، التي أدخلت عليه ، في أوائل القرن الحادي والعشرين .

ردد الرجل مشدوهًا :

ـ أنا الوحيد ؟!

أجاب (محمود) ، وهو يكاد يجذبه عنوة إلى سيارته :

ـ نعم يا سيدي .. كلهم لقوا مصرعهم مع الغزو ، أو بعده ، في مرحلة تأثير قنبلة (جاما) ، ونحن نحتاج إليك على وجه السرعة .. الوطن يحتاج إليك .

هتف الرجل في حرارة :

ـ وسألبي نداء الوطن على الفور .. انتظر حتى ارتدي ثيابي ، و..

جذبه (محمود) إلى سيارته ، قائلاً في لهفة :

ـ لا وقت لهذا يا سيدي .. سننطلق على الفور .

وضع الشيخ داخل سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، نحو المرصد ، حتى بلغه ، دون أن يتبادل كلمة واحدة مع

(جابر) ، وحمله تقريبًا من السيارة إلى الداخل ، ووضعه أمام المنظار العملاق ، قائلاً :

- هل يمكنك متابعة مسار تلك السفينة الفضائية؟

وضع الرجل منظاره فوق عينيه ، وألقى نظرة طويلة على المشهد ، ثم قال :

- كيف وصلت إلى موقعها هذا؟.. إنها تقترب من القمر .

سأله (محمود) في لهفة :

- هل يمكنها الهبوط فوقه؟

ألقى الشيخ نظرة أخرى طويلة على سفينة (نور) ، ثم أجاب :

- لو ظلت تنطلق في مسارها هذا ، فستتجاوزه بعد عدة دقائق ولكنها لن تستطيع الهبوط فوقه قط .

سأله (محمود) في قلق :

- ستتجاوزه إلى أين؟

بدا وكأن الشيخ لم يسمع السؤال، وهو يشير إلى جهاز الاتصال الفضائي، المتصل بجهاز (ميرفي)، ويسأل في فضول:

- ما هذا؟.. ما الذي جاء به إلى هنا؟.. أهو جهاز فلكي جديد؟

قال (محمود) في حدة :

- دعك منه الآن ياسيدي .. لقد اتصلت برجال الأمن ، ليعملوا على رفعه من هنا .. المهم الآن ، إلى أين ستتجاوز سفينة الفضاء القمر؟

لوّح الشيخ بكفه ، وقال :

- إنها تنطلق بمحاذاة مداره .. وبسرعة متوسطة نسبيًا ، وهذا يعني أنها لن ..

قاطعه (محمود) في توتر :

- إلى أين ستذهب، ياسيدي؟

أشار الرجل بكفه مرة أخرى، وقال :

- إلى مالانهاية .. إلى الفضاء .. الفضاء الذي يمتد بلا حدود..

* * *

استمر الطبيب يفحص (أكرم) لنصف ساعة كاملة ، ثم اعتدل ، وخلع مسماعه الطبي ، وهو يعض شفتيه في أسف ، فهتفت به (مشيرة) ، وقلبها يرتجف :

- هل حالته خطيرة ، إلى هذا الحد؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا ، وقال :

- ماكان له أن يغادر المستشفى أبدًا ، قبل أن يتم علاجه ، هذا أشبه بالانتحار .

قالت ، ودموعها تسيل على خديها :

- كان يتصوّر أن إصابته بسيطة .

هتف الطبيب مستنكرًا :

- بسيطة؟! .. إصابة بطلقتي ليزر ، وثقبين بالرئة اليمنى ، وأربع ضلوع مكسورة ، وتقولين إنها إصابة بسيطة .

قالت باكية :

- ولكنه استطاع أن يمشي على قدميه ، ويقود سيارته ، و..

قاطعها في حدة :

- أيعني هذا أن إصابته بسيطة؟.. كل ما في الأمر أنه شخص عنيد ، همجي ، يرفض الانصياع للأوامر والتعليمات .. هذا فقط ما جعله يفعل كل هذا .

قالت فى أسى :
ـ المهم الآن هو : هل هناك أمل فى شفائه .
مط شفتيه ، وقال :
ـ لست أدرى .
ارتجفت ، وهى تسأله :
ـ ماذا تعنى بأنك لست تدرى ؟
أجابها فى حنق :
ـ هذا ما أعنيه بالضبط .. لست أدرى .. فى الماضى كانت هناك أجهزة حديثة ، وأدوات إليكترونية ، وعقاقير لسرعة الشفاء والالتئام ، وكنا نستطيع معالجة ما هو أبشع من هذا ، والحصول على نتائج رائعة ، أما الآن فأمامى حالة نزيف دموى ، وتلوث جرح ، وفقدان كمية كبيرة من الدماء ، ولست أدرى ما إذا كان المريض بالقوة الكافية ، لتجاوز كل هذا أم لا ؟!
انخرطت فجأة فى بكاء حار ، وهى تخفى وجهها بكفيها ، فتلاشى حنق الطبيب على الفور ، وامتلأت نفسه بالإشفاق عليها ، فربت على كتفيها فى رفق ، قائلاً :
ـ معذرة يابنيتى .. لم أقصد الضغط على أعصابك ، إلى هذا الحد ، ولكن الحالة عسيرة بالفعل .
قالت بحروف تسيل منها الدموع :
ـ أعلم هذا .
تضاعف إشفاقه عليها ، فانخفض صوته أكثر ، وهو يقول :
ـ إننا سنبذل مابوسعنا ، على أية حال .

كررت باكية :
ـ أعلم هذا .
تنهد وهو يشعر بتأنيب الضمير ، وربت على كتفها مرة أخرى ، ثم انصرف ، فى حين جلست هى على مقعد قريب ، وجففت دموعها ، وهى تتمتم :
ـ عد إلىّ يا (أكرم) .. لقد أحببتك .. صدقنى .. أحببتك بالفعل .
استرجعت لقاءاتهما الأخيرة ، فى اليومين السابقين ، وتذكرت آلة التصوير الهولوجرافى ، التى تركتها أمام شاشة مرصد (حلوان) ، وخيّل إليها أنها تسمع صوت (أكرم) وهو يقول فى حماس :
ـ لاينبغى أن يفوتك السبق الصحفى أبدًا .
ولكنها قالت فى مرارة :
ـ فليذهب السبق الصحفى إلى الجحيم .. فلتذهب الصحافة كلها إلى الجحيم .. إننى لن أتركك لحظة واحدة يا (أكرم) ، حتى ولو خسرت حياتى كلها .
وكان هذا تحولاً فى حياة (مشيرة محفوظ) .. تحولاً جذريًا .

* * *

كان (ميرفى) يهمّ بإطلاق مسدسه الليزرى ، على رأس (نور) و(رمزى) ، عندما استوقفه (نور) ، قائلاً :
ـ لحظة أيها العبقرى .
خفض (ميرفى) مسدسه ، وهو يبتسم قائلاً :

- ماذا هناك ؟ .. هل ستجثو على ركبتك ، طلبًا للرحمة ؟

قال (نور) فى صرامة :

- لا .. اطمئن .. لن أفعل هذا مع وغد مثلك .

سأله (ميرفى) فى استهتار :

- ماذا تريد إذن ؟

أجابه (نور) :

- أردت أن أعرف الوسيلة ، التى ستنجو بها من هنا .

اكتست ابتسامة (ميرفى) بشىء من الزهو ، وهو يقول :

- إنه أمر بسيط للغاية .. فأنا أمتلك حزام طيران ، مثل ذلك الذى كان يمتلكه (كيرك) و(ساندرا) ، ولكن حزامى أكثر قوة ، وسيتيح لى ، عند خروجى إلى الفضاء ، فى أقرب نقطة إلى القمر ، أن أنطلق إلى هناك ، وأهبط على سطح القمر هبوطًا هادئًا ، سالمًا .. خطة بسيطة للغاية .. أليس كذلك؟

قال (نور) فى هدوء :

وحقيقة .

ابتسم (ميرفى) فى سخرية ، وهو يقول :

- فليكن .. إنها ناجحة على أية حال .

ثم صوّب مسدسه إلى رأس (نور) مباشرة ، وقال :

- والآن وداعًا .. وداعًا يا بطل التحرير .

ولكن (رمزى) ركل المسدس بحركة سريعة مباغتة ، وهو يقول :

- نسيتنى أيها الوغد .

ودون إضاعة لحظة واحدة ، انقضّ (نور) على (ميرفى) ، ولكمه فى فكه بكل قوته ، هاتفًا :

- من سوء حظك .

تلقى (ميرفى) اللكمة ، وتراجع بضع خطوات ، ثم اعتدل فى سرعة ، واتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يقول :

- هيا أيها المصرى .. قاتلنى بالأيدى العارية ، وستجد أن (ميرفى) يتفوّق فى كل شىء .

انقضّ عليه (نور) مرة ثانية ، ولكن حذاءه المغناطيسى أعاق حركته بعض الشىء ، وكذلك جو انعدام الوزن ، مما جعل (ميرفى) يتفاداه فى سهولة ، وهو يقول :

- أخطأتنى أيها المصرى .

ثم كال لـ(نور) لكمة سريعة ، تراجع لها (نور) خطوتين ، قبل أن يقول (ميرفى) فى سخرية :

- كنت أتمنى أن نواصل القتال لفترة أطول ، ولكن المفروض أن أغادر سفينة الفضاء بعد لحظات .

هتف (رمزى) ، وهو ينقضّ على (ميرفى) بدوره :

- هذا لو وجدت الوقت لهذا .

ضغط (ميرفى) زرًا فى حزام الطيران ، وهو يقول :

- اطمئن .. سأجده .

انطلقت من حزامه حلقة هلامية ، تضخمت فى سرعة ، وارتطمت بجسدى (نور) و(رمزى) ، وطرحتهما أرضًا فى عنف ، فى حين ابتسم (ميرفى) ، قائلاً :

انطلقت من حزامه حلقة هلامية ، تضخمت فى سرعة ،
وارتطمت بجسدى (نور) و(رمزى) ، وطرحتهما أرضًا فى عنف ..

ـ معذرة أيها السيدان .. سأنصرف .. ووداعا .

واتجه فى هدوء إلى الممر ، الذى يقود إلى غرفة معادلة الضغط ، ليبدأ رحلته نحو القمر .

ونحو إمبراطوريته الجديدة .

* * *

١٠ ـ الضياع ..

انحنى (محمود) على الدكتور (حاتم) ، خبير الطاقة الأمنية وعلم الصواريخ ، وقال فى لهفة وتوتر :

ـ هذه هى كل البيانات التى لدينا ياسيدى .. وزن السفينة ، وكمية الوقود التى كانت بها ، قبل أن تبدأ الرحلة ، وكل التعديلات التى حدثت فى مسارها ، وموقعها الحالى ، وخط سيرها .. والآن ما الذى تتوقعه بشأنها .

راجع الدكتور (حاتم) كل البيانات ، وهز رأسه فى أسف ، فسألته (سلوى) فى توتر بالغ :

ـ ماذا وجدت يادكتور (حاتم) ؟.. أهناك أمل؟

قال فى حيرة :

ـ لست أدرى فى الواقع ، كيف وجد زوجك ياسيدتى الجرأة الكافية ، ليبدأ هذه الرحلة ، وخزان الوقود لايحوى سوى هذا القدر الضئيل .

أجابته (نشوى) :

ـ كانت الرحلة حتمية .

هز رأسه متفهمًا فى أسف ، وقال :

ـ فهمت .

سألته (سلوى) :

ـ والآن ماذا عن الموقف؟

اعتدل مجيبًا :

ـ الجزء الأعظم من الوقود سيستنفد فى عملية اختراق الغلاف الجوى بالطبع ، والرحلة من خارج الغلاف الجوى ، إلى موقع الحقيبة ، ستحتاج إلى أكثر من نصف الوقود المتبقى بقليل ، ومن المؤكد أن رحلة العودة كانت تعتمد على جاذبية الأرض ، التى ستجتذب إليها سفينة الفضاء ، فتختصر بعض الوقت ، الذى يكفى للهبوط السليم ، وتعديل المسار استهلك بدوره كمية من الوقت ، ولكنها كمية لاتكاد تذكر ، ولكن المسار الحالى يبتعد عن الأرض أكثر وأكثر ، ويستهلك المزيد والمزيد من الوقود .

سألته (سلوى) فى توتر :

ـ مافرصة عودة السفينة إلى الأرض إذن ؟

التفت الدكتور (حاتم) إلى (نشوى) ، وسألها :

ـ هل فحصت هذا الأمر ، بوساطة الكمبيوتر؟

أومأت برأسها إيجابًا فى أسى ، فسألها :

ـ مانسبة نجاح السفينة فى العودة إلى الأرض إذن؟

ألقت نظرة جانبية على أمها ، ثم تحاشت النظر إليها ، وهى تقول:

ـ واحد فى المائة .

شهقت (سلوى) فى هلع ، واتسعت عينا (محمود) فى ذعر ، فى حين مط الدكتور (حاتم) شفتيه ، وقال :

ـ الكمبيوتر يبالغ بعض الشىء .. من المستحيل أن تبلغ النسبة واحد فى المائة .

هتفت (سلوى) :

- حقًا؟!
أجابها فى جدية :
- بالطبع .. إنها أقل من هذا بكثير .
اتسعت عيناها فى رعب ، ودفنت وجهها فى كفيها ، وهى تنتحب فى شدة ، فعدل (محمود) منظاره ، وسأل الدكتور (حاتم) :
- أأنت واثق من هذا ياسيدى؟
أجابه الدكتور (حاتم) :
- تمام الثقة ياولدى .. إنه تخصص ، ثم أنها عملية حسابية بسيطة ، فالوقود المتبقى لديهما الآن ، لن يكفى لدفع السفينة ، حتى تبلغ نطاق جذب الأرض ، فكيف يمكنهما العودة؟
توقفت (سلوى) عن الانتحاب بغتة ، واعتدلت قائلة :
- مازال هناك أمل واحد .
سألها فى اهتمام :
- ماهو؟
شمخت بأنفها ، مجيبة :
- الأمل فى رحمة الله (سبحانه وتعالى) .. وهذا أعظم أمل .
* * *
لم يكن من السهل أبدًا ، خلال حياته كلها ، أن يستسلم الرائد (نور) للهزيمة ..
أية هزيمة ..
لقد أصابته تلك الحلقة الهلامية برضوض عنيفة ، فى

صدره ومعدته ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انتزع نفسه، مكانه ، وأجبر ساقيه على تحمله ، وهو يعدو نحو (ميرفى) ، الذى عبر الممر فى هدوء ، متجهًا إلى حجرة معادلة الضغط ، ثم انقضّ عليه ، وأحاط وسطه بذراعيه، قائلاً :
- لن أسمح لك بتنفيذ مخططك الجنونى هذا .
كان (ميرفى) يحمل كرة الطاقة بكفيه ، فأدار ذراعيه بها فى سرعة وعنف ، وضرب بها رأس (نور) ، فى خلف ظهره ..
وكانت الضربة شديدة بالفعل ..
لقد ارتج لها عقل (نور) ، وتراخت لها أطرافه ، فتخلى مرغمًا عن (ميرفى) ، وتراجع خطوتين إلى الخلف ، وهو يحاول السيطرة على توازنه ، ولكن (ميرفى) استدار على عقبيه فى مرونة ، وركل وجه (نور) ركلة قوية ، أفقدته البقية الباقية ، من سيطرته على جسده ، فسقط على ظهره فى عنف ..
ونهض (رمزى) بدوره ، وأسرع نحو (ميرفى) ولكن هذا الأخير استقبله بلكمة عنيفة فى فكه ، وهو يقول :
- أنت الخبير النفسى ، حسبما أذكر .
أصابت الضربة (رمزى) وأسقطته إلى جوار (نور) ، و(ميرفى) يكمل فى سخرية :
- ولكنك لست خبيرًا بوسائل القتال .
واستدار يكمل طريقه مرة أخرى ..
ومرة ثانية ، أجبر (نور) جسده المكدود على النهوض ،

ودفعه دفعًا نحو (ميرفى) ، ولكن هذا الأخير قفز إلى الأمام ، وتفادى انقضاضه (نور) ، ثم ضغط زرًا فى حزامه ، فانطلقت منه حلقة هلامية أخرى ، تضخمت فى سرعة ، فسدت الممر الضيق ، وهو يقول فى سخرية :

- إنكما تجبراننى على وضع حاجز سخيف بيننا .

لكم (نور) الكرة الهلامية عدة لكمات متتالية ، ولكن قبضته كانت تغوص داخلها ، فى كل مرة ، ثم ترتد إليه فى عنف ، دون أن تتأثر الحلقة نفسها ، ولحق به (رمزى) ، وحاول تمزيقها بدوره ، وهو يهتف :

- اللعنة !.. من أى شىء صنعت هذه الحلقة السخيفة ؟

أجابه (ميرفى) ، من الجانب الآخر فى هدوء :

- من مادة سريعة التمدد ، عند ملامسة الهواء .. إنه اختراع آخر ، من اختراعاتنا ، التى نجت من الغزو .

ثم تنهد ، وقال :

- كم كان صراعى معكما ممتعًا .. ياللخسارة !.. إننى مضطر لترككما الآن ، فساعتى تشير إلى اقتراب الموعد ، الذى ينبغى أن أغادر فيه السفينة ، متجهًا إلى القمر ، وإلا أصبحت رحلتى إليه أكثر صعوبة .

هتف (نور) محنقًا :

- سأجدك .. حتى ولو كنت فى آخر الكون .

قهقه (ميرفى) ضاحكًا ، وقال :

- هذا لو بقيت حيًا ، إلى ذلك الحين ، بعد رحلتك الإجبارية ، إلى أعماق الكون ياصديقى .

ولوّح بكفه ، مستطردًا :

- الوداع ياصديقىّ .. الوداع .. تمتعت بلقائكما كثيرًا .

واتجه إلى حجرة معادلة الضغط فى هدوء ، ودلف إليها ، ثم أغلق بابها خلفه ..

وهتف (نور) فى حنق :

- ذلك الحقير .

ثم اندفع عائدًا إلى كابينة القيادة ، والتقط مسدس الليزر ، الذى أسقطه (رمزى) من يد (ميرفى) ، وعاد به إلى الكرة الهلامية ، وراح يمطرها بأشعته فى سخاء ، فانكمشت أطرافها ، وسقطت على أرضية الممر ، وعبرها هو بقفزة واحدة ، نحو حجرة معادلة الضغط ، وتبعه (رمزى) ، وهو يقول فى انفعال شديد :

- امنعه يا (نور) .. حاول أن تمنعه .

ولكن اللوحة المعلقة على باب الحجرة ، أشارت إلى اكتمال تعادل الضغط داخلها ، مع الضغط فى الفضاء ، ثم أعلنت أن بابها قد فتح ، وحذرت من خطورة فتح بابها الداخلى .. المتصل بالسفينة .

وعضّ (نور) شفتيه فى مرارة ، وهو يقول :

- ياللحقير !

وتجمّد (رمزى) فى مكانه لحظة ، وهو يردّد :

- ما الذى يعنيه هذا ؟ .. هل نجح فى خطته ؟.. هل استولى على كرة الطاقة ، ومكعبات الكمبيوتر ، وبلغ القمر ؟

قال (نور) فى مرارة :

- وسيبدأ عهد إرهابي جديد ، عندما يضع قدميه على سطح القمر ، ويستولى على كل ما به من أسلحة وذخائر .

جمد (رمزى) فى مكانه لحظات أخرى ، ثم اندفع فى سرعة ، نحو كابينة القيادة ، هاتفًا :

- ربما لا ... ربما لا ينجح فى الهبوط ، على سطح القمر .

أشعل الراصد فى سرعة ، وتابع (ميرفى) ، وهو ينطلق بحزام الطيران القوى ، عبر الفضاء ، فى طريقه إلى القمر ، الذى بدا ضخمًا ، ممتلئا بالفوهات البركانية ، والنيزكية ، فوق سطحه الرمادى البارد ..

ولقد قاد (ميرفى) حزامه فى مهارة حقيقية ، واتجه به مباشرة نحو تلك القبة الزجاجية السميكة ، التى تحيط بسجن القمر ، وهبط نحوها فى دقة ومهارة ، وأخرج من جيبه جهاز توجيه بعيد المدى ، وهو يقول مبتسمًا :

- من حسن الحظ أن الدول العظمى كلها ، كانت تعلم أسرار الهبوط فى سجن القمر هذا .

وإثر ضغطته ، انفتح جزء من القبة الزجاجية ، يحيط به أنبوب زجاجى ضخم ، وهبط (ميرفى) بحزامه داخل هذا الأنبوب ، وأغلق الجزء الزجاجى خلفه فى إحكام ، حتى استقر على أرضية الأنبوب ، وانتظر حتى تعادل الضغط داخله ، ثم انفتح مخرج فى جانبه ، خرج منه (ميرفى) إلى ساحة السجن ..

.. سجن القمر ..

ولأول مرة ، فى تاريخ ذلك السجن الفضائى ، يشعر مخلوق بكل هذا القدر من السعادة ، لوصوله إليه ..

لقد رفع (ميرفى) قبضتيه ، وصرخ :

- لقد نجحت .

ثم خلع خوزته الفضائية ، التى أضافها إلى زيه ، داخل حجرة معادلة الضغط ، قبيل رحيله مباشرة ، واستطرد :

- بدأ عصر بناء الامبراطورية ... إمبراطورية (ميرفى) .

* * *

رأى (رمزى) (ميرفى) يهبط فى نجاح ، على سطح القمر ، عبر شاشة الراصد ، فهتف محنقًا :

- لقد نجح ذلك الوغد .

قال (نور) فى توتر :

- دعك منه الآن ، ولنفكر بمشكلتنا .

سأله (رمزى) :

- مشكلتنا ؟!

أجاب (نور) ، وهو يتحرك فى عصبية :

- نعم .. لقد أفسدت بنفس أجهزة التوجيه ، ولا يمكننا العودة إلى الأرض ، كما أن مسار السفينة يبعدنا فى سرعة عن القمر ، وهذا يعنى أننا نواجه أخطر وأبشع ما يمكن أن يواجهه ملاح فضائى ، فى كل العصور والأزمان .

امتقع وجه (رمزى) ، و(نور) يضيف فى توتر بالغ :

- إننا نواجه الضياع يا (رمزى) .. الضياع فى غياهب الكون .. الكون اللانهائى .

وأشار بيده إلى شاشة الراصد ، التى تنقل صورة عدد هائل من النجوم ، يمتد إلى ما لا نهاية ..

وهوى قلب (رمزى) بين قدميه ..
وواصلت السفينة مسيرتها الاجبارية نحو الضياع ..
الضياع التام ..

* * *

انتهى الجزء الثاني بحمد الله
ويليه الجزء الثالث
(الإمبراطور)